

الحجرات...
وقصص أخرى

ايمان عبد الرحيم

رواية

الحجرات...
وقصص أخرى



الحجرات ... وقصص أخرى
روايـــة
الطبعة الأولي : ٢٠١٣
رقم الإيداع : ٢٠١٣/١٥٨٥٢
الترقيم الدولي : ٦-١٩-٦٣٠٦-٩٧٧-٩٧٨
الغـــــلاف: ستوديو ٣٠٦
إشراف النشر : سمير مندى

الكتب خان للنشر والتوزيع ®
٣/١ شارع اللاسلكي – المعادي الجديدة – ١١٧٤٢ – القاهرة.
تليفـــــون : ٢٠٢٢٥١٩٤٨٠٧+ – ٢٠٢٢٥١٧٠٦٧٨+
بريد اليكتروني : info@kotobkhan.com
موقع اليكتروني: www.kotobkhan.com



الحجرات...
وقصص أخرى

إيمان عبد الرحيم



هذه الرواية هي إحدي ثمرات ورشة "الكتابة الإبداعية" برعاية الكتب خان موسم ٢٠١١/٢٠١٢ بإشراف الكاتب والشاعر يوسف رخا.



إهـــداء

إلى الساحر الساخر:

سامح سمير (غضب عنك)

وساعات بكون، زي الجنون جوا العيون،

مالهوش لون، مالهوش كون..

أغنية "غريبة" لمحمد منير

الحجرات...

هذه سيارة "بي إم دبليو إكس سكس" تمشي على مهل، في طريق الإسكندرية - القاهرة الصحراوي.

في الداخل، يمسك "عمرو "الديريكسيون" بيسراه، بينما تغلق يمناه الراديو، وتضع "سي دي": "إيه في أمل" لفيروز، في "السي دي بلاير".

تجلس إلى جواره "أمان"؛ التي كانت تسند رأسها على حزام الأمان، وتتطلع إلى السماء، ساهمة، من شباك السيارة، قبل أن تنظر الآن إلى ساعة يدها، وتخبر "عمرو" عن أملها في الوصول إلى القاهرة قبل أذان الفجر.

ينظر "عمرو" إلى شعرها، الذي يتطاير بعنف، ويسألها إن كانت ترغب في أن يغلق لها الشباك؛ ترد ضاحكة، وتخبره أنها - كما يعلم — تحب هذا الهواء المندفع.

يحرك "عمرو" مرآة السيارة أمامه، حتى يتمكن من رؤية انعكاس عينيه، يتأملهما للحظات، ثم يسأل "أمان" إن كانت تلاحظ أن لديه عينا أوسع من الأخرى؛ فتضحك، وتطلب منه أن يبطل تهريج، ويركز في السواقة. يبتسم "عمرو"، ويعيد المرآة لوضعها الأول، ويستمع كلاهما في صمت إلى "الست فيروز".

يمرق ميكروباص مسرع من جوار سيارتهما، ويتجاوزهما، مبتعدًا حتى يبتلعه ظلام الطريق الممتد.

تضحك "أمان" ضحكاً متواصلاً، تدمع معه عيناها. يسألها "عمرو" مندهشاً عن سبب ضحكها. تحاول أن تستجمع أنفاسها، وتقول بصعوبة: "الميكروباص اللي عدّى".

يغلق "عمرو" السي دي بلاير"، ويسألها: "ماله؟"، وهو ينظر إلى عينيها مباشرة.

يُدهش "أمان" سؤاله، وتقول: "ما تقوليش، ما خدتش بالك!!"؛ فيستفهم عمرو أكثر عن هذا الذي لم يأخد باله منه؛ فتخبره أن

الميكروباص كان مظلماً تماماً، فوانيسه الأمامية والخلفية مطفأة، قديماً مهكعاً، بلا ركاب، تضحك، ثم تستطرد قائلة إنه أيضاً كان بلا سائق: "الميكروباص كان بيمشي لوحده يا عمرو".

يقطب "عمرو" حاجبيه، ويشغّل الراديو على إذاعة القرآن. يمرر يده على شعرها، ويقترح عليها محاولة النوم، خلال الساعة المتبقية لهما قبل الوصول.

تسمع كلامه، وتغير وضعية الكرسي، إلى وضعية مريحة، تساعدها على الاسترخاء. تفك عنها حزام الأمان. هنا ينظر "عمرو" لها مستنكراً، فتخبره أن الحزام يحزّ على بطنها بصورة مؤلمة. يربت "عمرو" على بطنها، ويخفض صوت الراديو قليلاً، وتغمض هي عينيها محاولة النوم. تنتفض فجأة، وتفتح عينيها على اتساعهما. تمسك بكتف "عمرو" قائلة: "سامع بيقول إيه؟!". يفزع عمرو الذي ظنها نائمة، ويسألها عن الذي يقول، وماذا يقول. تخبره بعينين ساهمتين: "الشيخ في الراديو يا عمرو، بيقول: "**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**". ينظر لها "عمرو" مليا، قبل أن يسألها بصوت مرتجف عن المغزى الذي تقصده. تبتسم، وتربت على كتفه قائلة: "استهبل بقى يا عمرو.. خليكم كده كلكم استهبلوا".. تعود برأسها إلى ظهر الكرسي، وتغمض عينيها، في حين يتجنب "عمرو" الاستفاضة في الاستفهام.

أنا أعرف جيداً أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزًا ما من ذلك السواد العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر ممكن من الألم.

***

في نهار بعيد جداً الآن، نهار كان منذ عامين ونصف تقريباً، خرج "عمرو" وأخوه "أمجد" من محكمة زنانيري بعد أن أتما بعض الإجراءات الخاصة بميراث أبيهما، أخبره "أمجد" أنه ذاهب لأصدقائه في "كوستا" كافيه في وسط البلد، وعرض عليه أن يأتي معه، ويتعرف عليهم، فهم لطاف جدًا. سلموا عليه بوجوه بشوشة مرحبة. لم تلفت نظره كثيرًا، البنت التي سلمت عليه سريعاً ببرود، وكانت تضع الهيدفون على رأسها، تقرأ بتركيز صفحات ملزمة من الورق، تقرأ وتكتب بسرعة وعشوائية، في أي مساحة تقع تحت يدها من الورق؛ تقزز من سلوكها، ورأى أن ما تفعله فوضوي، علاوة على أنه قلة ذوق، أو محاولة رخيصة للفت الانتباه وإثارة الفضول. فقط حين قام"أمجد" وأبدل كرسيه مع الجالس جوارها، حين بدأ "أمجد" يتلصص على المكتوب في الورق، ويقهقه بصوت عال، بينما تنظر هي له بطرف عينيها نظرة متوعدة، قبل أن تنفجر في الضحك معه، هنا فقط نظر إليها "عمرو" مبهورًا بصوت ضحكتها الرجولي، ثم

عينيها الضاحكتين. حين يلاحظ "أمجد" انتباهه لهما، يخبره أنها تأخذ كورس فرانسيه، وأن امتحان الليفل بعد ساعة ونصف، وهي الآن تذاكر، لكنه لا يفهم، لماذا على المرء وهو يذاكر أن يكتب في ورق المذكرة: "في البحر سلكة، سلكة، بتزق سلكة، سلكة، على الشط، واقف، واقف، صياد بشبكة، باللام كمان مش بالميم". يبتسم "عمرو" وينظر لـــ "أمان"، التي تقول له: "أخوك بيغش مني"، ثم ترحب به في مصر، وتعتذر له عن انشغالها، وتقول إن اللقاءات بينهما ستكون كثيرة بالتأكيد. يشكرها ويرجو لها التوفيق، ثم يسألها، إن كانت لا تزال تدرس، وما الذي تدرسه؟ لا يدري ما الذي أربكها في سؤاله هكذا، ليجعل ردها يأتي في شكل كلمات متقطعة النطق لم يفهم منها شيئاً، حاول أن يقاوم الضحك، وابتسم، وأعاد عليها السؤال، ردت قائلة: "فاهمة السؤال على فكرة، بس أصلي كنت بجمع الإجابة"، تضحك، ويقهقه "أمجد" معها، ويشير لأخيه قائلاً: "ما تركزش معاها دي مجنونة". استأذنت بعد ساعة تقريباً، وعرض عليها "أمجد" توصيلها، لكنها رفضت.

***

في الجراج أسفل العمارة، يركن "عمرو" السيارة، يتأمل عينيه مرة أخرى في مرآة السيارة لأكثر من دقيقة، يتنهد، ثم يهز كتف "أمان"

الأيسر برفق، تفتح عينيها ببطء، وتسأله إن كانت نامت، فيخبرها أن لها أكثر من ساعة ونصف نائمة. ترد بأنها لا تعتقد أنها نامت، فلقد كانت تسمع كل الأصوات، ورأسها مليء بأفكار متلاحقة. تؤكد له أنها لم تفصل أبدًا.

يحمل "عمرو" الشنط ، ويصعدان إلى شقتهما.

في غرفة نومهما، تخلع "أمان" جزمتها، وتمدد على السرير، وتفرد ظهرها، قبل أن تبدل ملابسها حتى. يرقد "عمرو" إلى جوارها بعد أن يبدل ملابسه، يطفئ ضوء الأباجورة على الكومودينو يمينه. يسألها بصوت هامس إن كانت نامت، تسمعه، وتصمت، متظاهرة بالنوم، يذهب هو في النوم، وتسمع له شخيرًا متقطعًا.

تغمض عينيها، وتسمع كل الأصوات. شخير "عمرو" بين الحين والآخر، أصوات كلاكسات السيارات المارقة في الشارع، نداء رجل البليلة، ثم رجل العيش، وصراخ وهرج الأطفال أسفل العمارة في انتظار باص المدرسة، وأخيرًا صوت المنبه، يستيقظ "عمرو" عليه، تشعر به يغلق المنبه، ويهب قائمًا، ثم يقترب منها في هدوء، ويملس على شعرها. تحاول أن تفتح عينيها فلا تستطيع، تحاول أن تكلمه فلا تقدر أيضًا. يأخذ عدة خطوات بمحاذاة السرير، ثم يتوقف، تخمن أنه واقف الآن أمام مرآة التسريحة. تسمع همهمة تصدر منه، ولا تتبين بوضوح ما يقول.

تسمع صوت المياه تنساب في الحمام. يخرج "عمرو" منه، ويحضّر إفطاراً خفيفاً: بيض مسلوق، وجبنة نستو،والقليل من مربى الخوخ، ثم يبدل ملابسه. يخفض درجة التكييف في الغرفة، ثم يحكم تغطيتها بالكوفيرتة. يأخذ شنطته من فوق الرف، أسفل الدولاب. تحاول أن تستوقفه لكنها لا تزال غير قادرة، يغلق باب الغرفة عليها وينطلق.

لن يلقي "عمرو" السلام على البواب العجوز، الجالس على الدكة، سينظر له باحتقار كعادته، ثم يمشي بخطوات واثقة ليخرج من البوابة. "عمرو" يكره هذا البواب، ويرى أنه يتعمد تجاهله دائمًا لسبب غير مفهوم، على عكس "أمان" التي تصر دائمًا على أنه عجوز لطيف جدًا.

***

تكررت اللقاءات الجماعية. كان "عمرو" وقتها على علاقة مع جوليا، عارضة إسبانية مغمورة، كانت تشتغل معه في الأتليه الذي يمتلكه بمدريد، وآثرت السفر معه للقاهرة، لحضور مراسم وفاة أبيه، بعد أن استلم تلغراف أرسله له "أمجد" من مصر، وأيضا لمساعدته في فتح فرع للأتليه بالقاهرة. بينما كان "أمجد" واقعاً لشوشته في الغرام، مع "ميريت" السكسي جدًا، بلونها البرونزي، ومؤخرتها المليئة المستديرة، ونظراتها اللعوب. "أمان" وقتها كانت الصديقة الأنتيم لأمجد، ثم لعمرو الذي

توطدت صداقته معها سريعًا، ربما بسبب كلام أخيه الذي لا ينقطع عنها، وربما لذلك الحنان الذي كان يستشعره دائما منها. نقول توطدت صداقتهما وكان يعاملها دائمًا بمشاعر تميل أكثر للأبوة، ربما بسبب الفارق العمري الذي يربو على العشر سنوات بينهما، أو طفولتها الجلية التي لا تبذل أدنى جهد لإخفائها أو التنصل منها. مع الوقت، والقرب الذي جمع بينهما، أدهشته كثيرًا طريقة تفكيرها التي رأى أنها عميقة، وحكيمة أحيانًا بما يفوق عمرها، ثم ذكاءها المتقد، وروحها المشمسة دائمًا.

***

لا تزال "أمان" على وضعها في السرير، وحين سمعت أذان الظهر، تمكنت فجأة من أن تفتح عينيها. عاكسها الضوء القادم من شباك الغرفة، فبربشت قليلاً، ثم قامت من على السرير. أخذت "شاوراً" دافئا، ثم أعادت تسخين ما تبقى من فطور "عمرو" وتناولته بنفسٍ جزعة. فكرت في أن تدخن سيجارة، من علبة السجائر التي تحتفظ بها سرًا فوق الدولاب. تتحسس بطنها المنتفخ، ثم تتراجع عن الفكرة. أنا أعرف جيدًا أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزًا ما من ذلك السواد العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء،

سنشعر بأقل قدر من الألم. ستحاول أن تتخلص من الزهق الذي يلازمها بكافة الطرق. تارة تتفرج على التليفزيون، وتارة تبحث في المكتبة عن كتاب يشجعها على قراءته. ستجلس في البلكونة لفترة طويلة، بعد أن تشغل الراديو. ستتفرج على الرائح والجاي، والباعة، والسيارات.

ستقوم بعدها، وتنظر إلى الساعة، التي تتحرك عقاربها ببطء شديد. تتأفف، وتفكر في أن تعيد ترتيب الملابس في دولاب "أوّاب"، ذلك بالتأكيد سيبهجها ويقتل الوقت الذي لا يمر.

في غرفة "أوّاب" تفتح الدولاب. ستفاجأ حين تجد أن اللوح الخشبي في خلفية الدولاب اختفى. ترى مكانه فجوة مظلمة، تشق الحائط بالعرض. ستغلق الدولاب غير مصدقة، وتفتحه من جديد، لتجد نفس الفجوة في انتظارها.

تجمع الملابس من على الأرفف، وترميها في كومة على الأرض، ثم تخرج الأرفف الخشبية نفسها. تحني قامتها قليلاً، وتدخل بكامل جسمها إلى الدولاب. تدخل الفجوة فتجدها تؤدي إلى سلم حلزوني يقود للأسفل. تنزل السلم بتردد، على مهل. في الأسفل، تنتظر قليلاً حتى تعتاد عيناها الظلام. تنظر إلى الأرض فتجد أشياء كثيرة ملقاة ومبعثرة. تجلس على ركبتيها، تقلب في الأشياء، فتجد أقلامًا عدة، ضاعت منها في مراحل دراسية متفرقة. هذه علبة ألوان الشمع التي نسيتها يومًا في درج

الدكة، و لم أجدها في اليوم التالي. وهذه فرد شرابات ضاعت مني على مرّ السنين. أجد أيضًا فرد شرابات "عمرو" الضائعة. هذا أوتوجرافي في المرحلة الابتدائية، الذي فقدته في العزال. وهذا خاتمي الذهب الذي رميته على أرض جنينة الحيوانات، لأنه كان ضيقًا على إصبعي حين كان عندي عشر سنوات.

تستجمع شتاها، وتتخلى عن دهشتها، ثم تخرج من الفجوة مسرعة إلى الغرفة مرة أخرى. تتناول "سالوبيت" من كومة الملابس الملقاة على الأرض. أذهب إلى البلكونة، وأبسبس لولد مارق، في حوالي الثالثة عشر من عمره. ينظر لي مندهشًا، ويسألني إن كنت أقصده، فأقول له بحماس: "أيوه انت". أحدف له "السالوبيت"، وأطلب منه بلطف أن يأخذه له، ويمشي به بعيدًا. يمضي الولد إلى شلته الواقفة أول الشارع متعجبًا، يريهم "السالوبيت"، يحدثهم وهو يشير إلي، فيضحكون جميعًا، ويواصلون سيرهم. أتابعهم حتى يختفون عن ناظري تمامًا. أسرع عائدة إلى الدولاب، لأجد الفجوة لا تزال في مكانها. أدخلها من جديد، وفي الأسفل أبحث بتمهل عن "السالوبيت"، بين الأشياء الملقاة على الأرض؛ فأجده.

لم تعرف كم من الوقت مضى على جلستها لتقلب في الأشياء الملقاة في قاع الفجوة. تفكر في أن "عمرو" على وصول الآن؛ فتخرج، وتعيد رص الأرفف في مكانها، ثم ترتب ملابس "أواب" وتبدأ في رصها على الأرفف من جديد. تسمع صوت المفاتيح في باب الشقة.

"عمرو" يفتح باب الشقة، عائدًا من عمله. يبحث عن "أمان" في غرفة نومهما، ثم المطبخ، فالبلكونة. ينادي عليها، ولن يسمع لها ردًا. يدخل غرفة "أواب" فيجدها جالسة على الأرض واجمة، وملابس "أواب" حولها بعضها مطبق في صفوف، والبعض الآخر مرصوص على أرفف الدولاب. يجلس جوارها، ويسألها إن كانت بخير، فتومئ برأسها إيجابًا وهي ساهمة. يسألها عن سبب عدم ردها على ندائه المتكرر؛ فتقول بصوت هامس إنها لم تسمعه. ينظر للملابس حوله ويسألها عن الذي تعمله، تجيب باستنكار أنها ترتب ملابس "أوّاب" كما يرى. يتعجب ويخبرها أن هذه هي المرة السادسة التي ترتب فيها نفس الدولاب خلال أقل من شهر. تتسع عيناها في دهشة، وتهز رأسها يمينًا وشمالاً نافية، وتقول بعصبية له إن تلك هي مرتها الأولى. يربت على كتفها بيد مرتجفة، ويقف ثم يمد لها يده كي تقوم معه. يطلب منها أن تترك ما في يدها، وتأتي لتأكل البيتزا التي أحضرها معه خصيصًا لها.

***

لا يدرى "عمرو" متى أو كيف بدأ يتسرب ذلك الفتور إلى علاقته مع "جوليا". شعرت هي أيضًا بذلك؛ فقررت العودة بعد سبعة أشهر إلى مدريد دونه -على خلاف اتفاقهما- وتحججت بغرابة أطواره

التي جدت عليه بعد أن توفي أبوه، وبطول الوقت الذي يستغرقه في تأسيس فرع للأتليه هنا في القاهرة. صارح "عمرو"، "أمجد" "وأمان" بذلك الفتور في جلسة جمعت ثلاثتهم. كان "أمجد" ينصحه بالتخلي عن العلاقة فورًا طالما شابها الملل، ولكن "أمان" بإنسانية صادقة، راحت تذكر له كل محاسن "جوليا"؛ التي أصبحت بالوقت، وتكرار اللقاءات صديقة لها أيضاَ. ابتسم "عمرو" حين كانت تؤنب "أمجد" بسبب رأيه، ابتسم لأنه شعر أنها تعاملهما كأم تتحدث مع طفليها.

***

"عمرو" جالس الآن يتفرج على التلفزيون بعد أن أنهى عشائه مع "أمان". يشاهد موجزًا للأنباء، ويتعجب من تحديق المذيع به، أو للمشاهد يعني بشكل عام. يعلن التلفزيون أنه حان الآن موعد آذان العشاء، حسب التوقيت المحلي لمدينة القاهرة. يرن جرس التليفون، فأخفض صوت التلفيزيون، وأرفع السماعة. على الطرف الآخر حماتي، تطمئن على عودتنا سالمين من أجازة المصيف. أطمئنها قائلاً إن الأسبوع كان لطيفًا فعلاً، ثم أنادي على "أمان" كي تكلم أمها.

كانت "أمان" على وشك الانتهاء من ترتيب الدولاب، الذي استغرق من وقتها أربع ساعات. تترك ما في يدها حين تسمع

نداء"عمرو"، وتتجه إليه ثم تأخذ منه السماعة. تسلم على أمها، وتخبرها أنها انبسطت في المصيف والحمد لله، وتسألها عن حالها، وعن حال أختها "إيمان" مع امتحانات الجامعة. تخبرها أمها أن كله تمام بحمد الله، وتذكرها بموعدها عند دكتور النساء والولادة، لمتابعة حملها في الأسبوع القادم. تطمئن "أمان" أمها، وتخبرها أنها ستذهب في الميعاد بصحبة "عمرو" إن شاء الله. تعيد "أمان" السماعة لـــ"عمرو"، فتوصيه حماته على ابنتها، ويؤكد لها أنه يضعها في عينيه، ثم يضع السماعة في مكانها.

***

"أمان" تفاجأت باهتمام "عمرو" الزائد بها بعد أن قطع علاقته بالفعل مع "جوليا". رفضت أن تكون استبنْ يستخدمها لينسى بها أخرى. كانت طيلة الوقت تكذّب نفسها، وتكذّب شعورها بميله غير المتوقع نحوها، وتحاول تجاهله. تجنبت طيلة الوقت الحديث عن حياتها الشخصية، وعلاقاتها، في كل الأوقات التي حاول فيها "عمرو" أن يستدرجها لذلك. كان ذلك الإعراض دليلًا بالنسبة لـــ "عمرو" عن مشاعر ما تكنها نحوه. تسوق عليه التقل والدلال ربما؟! أو ربما يعوقها الكبرياء! لم يستطع أن يحدد بعد.

***

اليوم هو الاثنين. هكذا تقول النتيجة المعلقة على حائط الرسيبشن. أمامها تقف "أمان" تحدث نفسها. تقول إن الجمعة هو يوم الغسيل، فما الذي جعل السبت أول البارحة، وما الذي جعل الأحد البارح؟ وهل اليوم هو الاثنين؟ تقطع كلامها حين تقرأ الملاحظة المكتوبة بخط يد "عمرو" أسفل ورقة النتيجة. مكتوب: "اليوم ميعاد متابعة "أمان" عند الدكتور". تنصرف "أمان" من أمام النتيجة. أطالع ساعة الحائط، لأجدها الواحدة والنصف ظهرا، أفكر أنه مازال هناك وقت على رجوع "عمرو" من الشغل. أنا أعرف جيداً أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزًا ما من ذلك السواد العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر ممكن من الألم. تتجه إلى غرفة "أواب" وتفعل ما ظلت تفعله كل يوم، منذ اكتشافها الفجوة. تخرج الملابس، ثم الأرفف، تدخل الفجوة، تنزل السلم، وتهم بجلوس القرفصاء على أرضها، لكنها تتذكر أنها نست شيئا، فتخرج مسرعة، وتتجه إلى الرسيبشن، لتأخذ كشاف النور من خلف الكنبة، بعد أن تخلع فيشته من الكبس، ثم تعود للفجوة، تنزل على السلم الضيق ببطء، حريصة على ألا يفقدها بطنها الممتلئ المستدير توازنها، ومعها الكشاف.

" أمان" الآن تجلس في منتصف الفجوة، على ضوء الكشاف. الفجوة عبارة عن غرفة ضيقة متر في متر، لها جدران رمادية، وأرضية

خشبية، يصدر لها أزيز، حين تمشي "أمان" فوقها. على الأرضية الأشياء مرتبة في كومات. الإكسسوار في كومة، الأقلام في كومة أخرى، والملابس والشرابات كذلك. لا زلت أدعبس في باقي الأشياء المبعثرة على الأرض، أمسك ما تقع عليه يدي، أتفحصه، واستدعي ذكرياته، ثم أضعه في الكومة المناسبة. تسمع الموبايل يرن من بعيد، أثناء غرقها لشوشتها مع ما تلتقطه يدها، تترك كل شيء وتسرع للرد على المتصل،وهي على يقين من أنه "عمرو".. تدندن كلام النغمة مع نفسها" ذهب الليل، طلع الفجر، والعصفور صاو صاو. شاف القطة، قال لها بسبس، قالت له ناو ناو" وهي تهز رأسها في طرب، ترفع الموبايل من على سريرها، وترد على المتصل، دون أن تطالع الشاشة. في الجهة الأخرى "عمرو" يخبرها بأنه سيترك اليوم عمله بدري، كي يصطحبها للدكتور، وأن معها ساعة لتلبس. تقفل معه وتعود مسرعة إلى غرفة "أواب"، تضع الأرفف مسرعة، ثم تكوم عليها الملابس دون ترتيب، وتحكم قفل الدولاب جيداً.

ستأخذ شاوراً دافئاً، وتتجه بعده إلى غرفتها. تقف أمام مرآة التسريحة المستطيلة، وتخلع عنها البرنس، ثم تطالع جسدها عارية أمام المرآة. تنظر إلى بطنها المنفوخ، وإلى صدرها الذي تضخم فيما يشبه الورم.

تنهي ارتداء ملابسها، ثم تجلس أمام مرآة التسريحة مرة أخرى، لتسرح شعرها، وفي هذه الأثناء تفاجأ بانعكاس صورة "عمرو" على المرآة أمامها. تلتفت إليه سائلة إياه "انت جيت"، ثم تضحك. يتجه إليها،

ويخطف بوسة من شفتيها، سائلاً إياها عن سبب ضحكها. تخبره أنها تضحك لإنها سألته إنت جيت، بينما هو جاء بالفعل! يبتسم، ويجد أنها انتهت من ارتداء ملابسها ، فيذهب ليغلق شيش وشباك الغرفة، ويخرج معها إلى الرسبشن، ويغلق شيش البلكونة، بينما هي ترتدى جزمتها بجوار الجزامة عند باب الشقة. يمشي "عمرو" من عند البلكونة، متجها إلى باب الشقة؛ فتستوقفه فيشة كشاف النور المخلوعة بإهمال، والمرمية على طرف الكنبة. يضع الفيشة في الكبس، ويسأل "أمان" عن الذي خلع الفيشة من مكانها. تنظر له بعين زائغة، ثم تذهب إليه، وتنظر خلف الكنبة؛ فتجد الكشاف في مكانه، وترد على "عمرو" بوجه ساهم، قائلة: "ماعرفش".

***

اعترفت "أمان" داخلها بمشاعر تكنها لـ"عمرو" وبأنها فعلاً تريده؛ حينها تجنبت لقاءه تماماً، وآثرت البعد مذعورة. لم يتصور "عمرو" يوما أنه سيحبها هكذا حب، فقط بالوقت، تفاصيل صغيرة، وكثيرة تراءت له، تفاصيل جعلته يتأملها صامتا حين تتحدث، أو تضحك، أو تتخانق، أو تدندن، كان يرى في كل حركة، أو سكنة منها شيئا ما يقتله رغبة في النوم معها. وحين لاحظ هروبها المتواصل من لقائه، والرد على تليفوناته، خمن أن الموضوع أكثر من مجرد تقلْ، فكر في أن

هناك آخر، وآثر مصارحة "أمجد"، لأنه يعرف أكثر منه عن دواخلها، وحياتها. بدا ضيق غير مفهوم على وجه "أمجد" حين صارحه "عمرو" بميله لـــ"أمان"، وأخبره باستياء أنه من الأفضل أن يصرف نظر عن الموضوع بالكامل. تعجب "عمرو" من ردة فعل أخيه الرافضة، وسأله صراحة إن كان يكن ـــ هو ـــ لها مشاعر ما. أنكر "أمجد" هذا بعصبية شديدة، أصر "عمرو" على رأيه، وأخبر أخاه، إن هذه المشاعر ربما تكون موجودة عنده بصورة غير واعية، وأنه لا مشكلة أبدا في ذلك. هنا انفجر "أمجد" وأخبره أن "أمان" عندها مشاكل، مشاكل كثيرة في حوار العلاقات هذا، لن يتحملها، لن يتحملها أي رجل، حتى أنها لم تدخل يوما في علاقة طيلة حياتها. سأله عمرو" بسخرية عن نوع هذه المشاكل، فنظر له "أمجد" غاضبا وقال إنه سيخبره.

استمع "عمرو" بدهشة وتركيز للتفاصيل التي حكاها له أخوه بجدّ. وفي نهاية الحديث، غادر "عمرو" البيت، بدون أي كلمة، فقط خرج من غرفة مكتب "أمجد" واتجه لباب الشقة مباشرة، وصفقه وراءه. انتوى وقتها العودة إلى إسبانيا، وإلى وقت غير معلوم سيؤجل مشروع أتليه القاهرة، ربما لن يعود إلى هنا مرة أخرى أبدا؛ ليس بسبب المشاكل التي أخبره "أمجد" عنها فقط، ولكن لأنه تأكد من أن "أمجد" يحب "أمان" بالفعل، وربما كانت "أمان" تبادله الحب أيضا.

***

في العيادة يجلس "عمرو" في الرسيبشن. يهز رجليه، ويشد الحظاظة الصفراء البلاستيكية التي تطوق معصم يده الشمال، يمطها لمسافة، ثم يتركها، متلذذا بلسعتها على جلده. ينظر للساعة على الحائط، ثم للجالسين حوله، يشعر أن الجميع يحدقون بلا سبب، يتحسس سوستة بنطلونه للتأكد من أنها مقفلة. يحاول أن يخفي ضيقه؛ فيواصل مط الحظاظة، وهز رجليه بعصبية. أتأفف غصبا عني، ثم أتجه إلى التمرجي، أحادثه قائلاً: "مش المدام كده اتأخرت؟". ينظر لي التمرجي بقرف، ويرد بأنها لسه داخلة، والصبر يا بيه؛ أتعجب من قلة ذوقه، وأنظر إلى باب العيادة، لأتأكد من أن "أمان" لاتزال في الداخل، ثم أميل على التمرجي أكثر، وأهمس له سائلاً إن كان يمكن أن أختلي بالدكتور قليلاً بعد أن تخرج زوجتي، ينظر لي نظرة طويلة متفحصة، ويرد بأنه سيكلم الدكتور ليسأله. يكلم التمرجي الدكتور على تليفون سنترال العيادة بصوت يشبه الغمغمة، لا يميز "عمرو" رغم وقفته جواره أي كلمة. يضع التمرجي السماعة ثم يخبره أن هذا ممكن، وأن عليه أن يتفضل ينتظر على الكراسي هناك بقى. يجلس "عمرو" في صالة الاستقبال ، ويواصل اللعب بالحظاظة. بعد ثلث ساعة يفتح الدكتور باب غرفته مودعاً "أمان"، يتجه إليهما "عمرو" مسرعا، يطلب من "أمان" أن تنتظره قليلاً، ويدخل مع الدكتور إلى غرفته ويغلق الباب خلفه. يتبادل مع الدكتور كلاما سريعا عن الحالة النفسية المتدهورة التي يرى فيها "أمان"، شرودها، وميلها المستمر للعزلة، وهدوءها على غير المعتاد.

"أمان" واقفة في الخارج، تقرض أطراف أظافرها، وتسير جيئة وذهابا. يا ترى ما ذلك السر الذي يجمع بين الدكتور و"عمرو"؟ أعجز عن خلق جواب مقنع، فأركن إلى أن أسأل "عمرو" حين يخرج وخلاص. أنا أعرف جيدا أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزًا ما من ذلك السواد العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر ممكن من الألم.

الدكتور يطمئن "عمرو" ويخبره أن التغيرات الهرمونية أثناء الحمل تؤثر جدا بالسلب على نفسية الحوامل، يعني عصبية واكتئاب وكده. وأن على "عمرو" أن يتحملها في هذه الفترة بالذات، أو أن يلجأ إلى دكتور نفسي إذا تجاوز الأمر حدود المألوف بما يمثل خطرًا عليها، أو على الجنين. يشكر "عمرو" الدكتور ويخرج من عنده بوجه عابس. تستقبله "أمان" بلهفة، وتسأله كل ده بتقول إيه معاه. يرد عليها بأنه كان يطمئن منه على صحتها. إجابة خيبت ظنون وأفكار "أمان"، لكنها تثق في "عمرو" أكثر من أي شيء، أكثر من منطقها حتى. يتجهان سيرا إلى السيارة المركونة بعيدا. يسألها عن تعليمات الدكتور لهذا الأسبوع، فتخبره أنه طلب منها أن تمشي كثيرا، ذلك سيجعل ولادتها طبيعية. وتخبره أن الزيارة القادمة بعد ١٠ أيام.

في السيارة تلاحظ "أمان" ضيق "عمرو" ولعبه المتكرر في حظاظته. تسأله مالك، فيخبرها أنه قال لها ألف مرة، أنه من الأفضل أن تذهب لدكتورة وليس دكتور، وتضحك وترد عليه "انت لسه فاكر؟؟ ده أنا هولد كمان عشرين يوم المفروض خلاص". تبوسه على خده، وتقول له إن هذا الدكتور كان من اقتراح ميس "فريدة" التي قالت إن أختها تابعت معه وشكرت فيه كثيرا، كما أنها لا تعرف اسم دكتورة جيدة. تفتح الشباك وتسلم رأسها للهواء يبعثر شعرها، وتبتسم ممتنة، فعمرو لا زال يغار عليها، رغم بطنها المنتفخ، وجسمها المبعجر. "عمرو" يقود شاردا، يتذكر رد الدكتور فيشعر بتوتر، ترتجف معه يده. أي خطر على نفسها والجنين؟؟ ودكتور نفساني إيه يا ترى؟ هذا ما كان ينقصني، أفكر في الاستعانة بحماتي ، وأخذ رأيها، أتراجع فورا قلقا من رد فعلها، وأفكر في أن أكلم "إيمان" لتتفاهم مع أمها أفضل.

***

على السرير. "عمرو" راح في النوم، بينما "أمان" لاتزال تتقلب محاولة النوم. تستدير ناحية "عمرو" تسحب يده، وتبوس باطن كفه، وتضعه أسفل أذنها، تتنهد، وببطء تغلق جفنيها.

***

"أمان" الآن وحيدة، نائمة على أرض الجراج المتسخة ، متغطية بلحاف مهترأ، بطنها منفوخة جداً أمامها. تواتيها آلام المخاض. تعض على طرف اللحاف. تعرف أن هذا الجراج في الحسين، وأن الجميع يجلسون على مقهى في الخارج يتسامرون ويضحكون. تسمع قهقهاتهم: "عمرو"، وأمها وأختها "إيمان"، بل وميس "فريدة" أيضاً. تحاول أن تصرخ، وتستنجد بأحدهم، لكنها بلا صوت، فقط يخرج صراخها في صورة فحيح لا يسمعه أحد سواها. تبكي وتئن ثم يظهر أمامها من العدم فجأة رجل ضخم، يرتدي عباءة تخفي جسده بالكامل، تنتهي بزعبوط يخفي رأسه أيضاً. يعطيها ظهره، ثم يستدير ليواجهها ببطء. لا يذهلها أن له رأس ذئب، بل على العكس تشعر نحوه بألفة غريبة، كأنها تعرفه من زمان. يتحدث فيأتي الصوت من كل مكان، لا تعرف على وجه التحديد مصدر الصوت. تخمن أن رأس الذئب هذا مجرد قناع، حيث أن نظرة عينيه زجاجية، ثابتة، وميتة، هذا علاوة على أن فمه مغلق على وضع ثابت، حتى وهو يحادثها. سيخبرها أشياء كثيرة، وستستمع له بمنتهى التركيز. ستنسى كل ما قال سوى: أنها الآن ستبيض جنينها، وأن عليها أن تظل هكذا وحيدة، لأنه إذا ما تواجد شخص معها، فإن جسدها سيذوب حتى يختفي تماماً، وسيحل كيانها في ذلك الشخص، أي أنه ببساطة سيسرق طفلها، وروحها. سيختفي الرجل في رمشة عين، كما ظهر، وستدخل عليها "إيمان"، تصرخ فيها "أمان" طالبة منها أن تخرج إلى أن تتم ولادتها، حتى لا ينتهي أمرها، تنظر لها "إيمان" نظرة باردة، وتتظاهر

بأنها لم تسمعها. تستجديها "أمان"، وتبكي عاجزة عن الحركة، يدخل "عمرو" فجأة وكأنه نجدة من السماء، تتنفس "أمان" الصعداء، وتطلب منه أن يخرج أختها بسرعة، ينظر "عمرو" إلى "إيمان"، ويبتسم لها ابتسامة غامضة، تصرخ "أمان"، فيربت "عمرو" على كتف "إيمان" ويخرج، بعد أن يقول لها شدي حيلك. تشعر "أمان" بجسدها يتلاشى، وأختها لازالت تراقبها بتلك النظرة الخاوية. " أمان" الآن غطاء جلدي أسود، يحوط بيضة ضخمة الحجم، وينحسر عنها شيئاً فشيئاً، حتى يختفي تماماً، وتظهر البيضة للوجود، فتحملها "إيمان" باسمة، وتخرج إليهم.

***

"أمان" على السرير، تئن وتزوم. "عمرو" يذرع الغرفة رائح، جاي، ولا يعرف ما الذي عليه أن يفعله، كلما حاول الاقتراب منها لتهدئتها، تعرض عنه في عنف، وتنظر له بخوف ونفور نظرة تقطّع قلبه. بعد ثلث ساعة تقريباً هدأ تماماً، ولا يصدر عنها أي صوت، سوى تنفس منتظم. يتجه إليها "عمرو" مذعوراً بخطوات مترددة، فيجدها نائمة، بفم مفتوح يسيل اللعاب منه على المخدة، وعينيها نصف مغلقتين. يستجمع نفسه، ويتسلل على مهله، يسحب موبايلها من جوارها، يقلب بتردد في الريسفيد كولزْ والماسيجاتْ، وحين يجد ما توقعه، يجز على أسنانه، ويمسح

دمعة خانته وسقطت. يعيد الموبايل إلى مكانه، يمدد على السرير جوارها، عاقداً العزم على أن يكلم "إيمان" أول شيء الصباح.

***

كان "عمرو" في الأيام الأخيرة السابقة لعودته إلى إسبانيا، قد قرر أن يتخلص من حالة البيضان التي اعترته، بعد الحديث مع أخيه "أمجد" عن "أمان" وظروفها. قال لنفسه إن الموضوع في الأصل تافه، إذ كيف يستسلم بسهولة لفكرة أن يتعلق بلبوة هكذا، في هذا الوقت القصير، دون حتى أن يلمسها! هي مجرد رغبة شديدة الوطأة، لكنها -وبالرغم من كل شيء- عابرة، فقط يحتاج لرغبة أخرى عفية لتطمسها على الفور، أو للوقت والبعد الكافيين لنسيانها. كانت "ميريت" صاحبة أخيه -المتاحة أمامه وقتها- تعرض نفسها عليه طيلة الوقت بابتذال، نظراتها المتبجحة بين الحين والآخر إلى بتاعه، ضحكاتها الرقيعة، وحركات قرعة تؤدي لاحتكاك جسدها بجسده، ثم تعتذر مدعية عدم التعمد، بينما تفضح عيناها شهوتها الجامحة. ربما تجاهلها قديما لأجل أخيه، أو زهدا في الابتذال ذاته على الأرجح. أي سبب سيكون بالنسبة له أكثر منطقية من إحجامه عنها لأجل تلك المساحة التي احتلتها "أمان" في نفسه. قرر أخيرا أن يدخل مع "ميريت" الساخنة جدا في علاقة، يعجبه فيها إدراكها التام

لكونها خلقت لتتناك وفقط. نادرا جدا ما يقابل الرجل في حياته امرأة تدرك ذلك، وتعترف به، بل وتتعامل على أساسه. تعمدّ أن يجعل اهتمامه بـــ "ميريت" جليا؛ سواء لـــ "أمان" أو "أمجد". ظن أن "أمجد" لن يضايقه ذلك، لأنه ذكي كفاية كي يعرف أن هذا ما سيحدث قريبا؛ سواء مع أخيه، أو أي رجل آخر. ربما سيفكر "أمجد" في الانتقام، وربما لا، وعلى كل فليشبع بـــ"أمان"! ألا تكفيه يعني؟

***

"أمان" تتقلب عدة مرات في السرير، ثم تقرر فجأة أن تقوم من نومها. لم تنظر إلى المنبه، ذي الأرقام الفسفورية كما اعتادت. وحده المنبه كان يجيب عن السؤال الذي لازمها، منذ فترة تزيد عن الشهر: هل نامت فعلاً؟ لا تعلم. المنبه في السابق كان يجيبها وفقا لقلة، أو كثرة عدد الساعات التي تقضيها في سريرها.

على الرغم من تجاهلي للمنبه، فإن السؤال لايزال يلازمني. وجدتُ إجابة مشوشة هذه المرة، في الحلم القاسي، الذي يعكر مزاجي جدا، رغم أني لا أستطيع أن أتذكره!.. أنا أعرف جيدا أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزًا ما من ذلك السواد العظيم. نعم.

هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر ممكن من الألم. أغادر السرير وأتوجه إلى مرآة التسريحة. أرى جفني متورمين، وأنفي محمر. أذهب إلى الحمام، وأشطف رأسي ووجهي بالماء البارد.

في المطبخ تتحامل على نفسها، وتعد إفطارا، خفيفا، لأجل "أوّاب"، لا لأجلها. في طريقها إلى البلكونة، تستوقفها النتيجة على حائط الصالة. تقلّب في أوراقها لتجد أنه بقي، أقل من عشرين يوما، على حضور "أوّاب" ، وفقا لحسابات الدكتور في زيارتها الأخيرة، للمتابعة معه. تتحامل على نفسها لتناول الوجبة، فبعد عدد يسير من الأيام، لن تكون مضطرة لذلك، وستكتفي بوجبة واحدة طيلة يومها، كما تعودت دائما.

تتجه إلى المكتبة، لتبحث عن كتاب يلهي وقتها. تنتقي كتابا قديما، من مجموعة كتب المكتبة الخضراء، التي احتفظت بها منذ طفولتها، ولأكثر من عشرين سنة.

يحمل الكتاب عنوان: "جامع البيض". أجلس في البلكونة، أفتح الكتاب، وأطالع السطور. يحكي الكتاب عن طفل في الصف الثالث الابتدائي. استلم الكتب في يومه الدراسي الأول. حين يحين وقت حصة القراءة، يخرج الطفل كتابه، ويحاول متابعة ما تقوله المعلمة، يحاول قراءة الدرس المعني بالشرح، لكنه لا يستطيع. لا يستطيع أن يقرأ الدرس، الذي

استحال في عينيه إلى طلاسم، ولا يستطيع فهم ما تقوله المعلمة، التي تتحدث بلغة لا يفهمها. في نهاية اليوم، يحمل الطفل حقيبته عائدا إلى البيت. فور دخوله، يخرج من الحقيبة كتاب القراءة، ويجري نحو أمه التي تحضّر طعام الغداء في المطبخ. يخبرها عن الدرس ذي الطلاسم، وعن شرح المعلمة ذي اللغة الغامضة. يطلب منها أن تساعده على الفهم. تأخذ الأم الكتاب من يده، وتترك ما في يدها، وتتجه نحو الصالة. تجلس وتفتح الكتاب على الدرس المعني، والطفل بجوارها. بعد فترة صمت وجيزة، ترفع عينيها من على صفحة الكتاب، وتنظر بحزن إلى طفلها. تخبره أنها تستطيع التنبؤ بطالعه من خلال هذا الكتاب. يسألها الطفل متعجبا: "كتاب القراءة ؟!!" تومئ الأم برأسها إيجابا. تخبره أنه سيقضي حياته في جمع البيض. هو جامع بيض، إلى أن يحين أجله. هكذا ترى مستقبله.

توقفت "أمان" عن القراءة، حين انتبهت إلى دموعها التي بللت صفحات الكتاب. تغلق الكتاب، وتنتحب تأثرا.

***

فيما يخص العلاقة التي رأتها "أمان" وسخة، والتي جمعت بين "عمرو" غريب الأطوار، والشرموطة "ميريت"، تعمدت "أمان" الاستهبال، والتصرف كأنها لا تعرف. تعجبت أيضا من رد فعل "أمجد"

الخانع، وكأن "ميريت" لا تخصه، جاهدت نفسها كثيرا كي لا تسب لـــ"عمرو" الذي كان يتعمد أن يتعولق مع "ميريت" أمامها "وأمجد" - ودون أدنى مراعاة لوجود أخيه- كي لا يحسبها تغار عليه بكس أمه.

ورغم أن "عمرو" كان يرى "ميريت" سيكسي وساخنة أكثر من "أمان"، فإنه يذكر جيدا المرة الأولى والوحيدة التي جمعته مع "ميريت" في السرير، وخذله فيها بتاعه. يومها تمشى في الشارع يحادث نفسه غير مصدق، تساءل إذا كان البني آدم ينيك الجسد، أم الروح، وركن إلى التفكير أن نيك الروح مالوش آخر، لكن نيك الجسد فاني، وإلا فما الذي يجعل الرجل يشتهي طفلة في السادسة من عمرها مثلاً، أكثر من مَرَة فائرة، إلا المتعة الجنونية التي سيجدها في انتهاك براءة روحها؟ فكر أيضا في أنه لو التقى في وقت آخر أكثر ملائمة بفرسة نار مثل "ميريت"، ولها مثل إدراكها وقوة شخصيتها، لكان ذاب في غرامها لشوشته. ولكنها الحياة كما كانت دائما: أشياء بديعة في أوقات غير مناسبة. حين عاد إلى مترله اتصل بمكتب للحجز، وحجز على أول طائرة ذاهبة إلى إسبانيا بعد يومين.

***

"عمرو" جالس على مكتبه، ينقر قلمه الباركر على سطحه في شرود، حين تدخل عليه السكرتيرة، دون أن تطرق على الباب، يزعق لها

ويخبرها أنه للمرة المليون يطلب منها أن تطرق على الباب قبل أن تدخل. يطردها، ويطلب منها أن تعاود الدخول الآن مرة أخرى بعد أن تطرق الباب وتستأذن. تفعل ذلك، وحين تطرق لتدخل من جديد، يأتيها صوته من خلف الباب سائلاً بعصبية: "مين"، ترد بصوت خفيض: "هنا"؛ فيأذن لها بالدخول. تقف أمامه متسمرة، يفكر أن الناس بدأت تأخذ عليه أكثر من اللازم. يقول بجعير: "ها؟؟". تقلب في صفحات البلوك نوت، وتسأله دون أن ترفع رأسها عن سبب عصبيته، يغطي وجهه بكفيه، ويجيب بصوت خافت أنها مشاكل في البيت، فتقول بتردد: "كلو هيعدي". يهز رأسه، ويقول أنه يأمل ذلك. تسأله إن كان من الممكن أن تقرأ عليه تاسكس عمل اليوم، تقرأ من النوت بالفعل؛ فيقاطعها قائلا: "مش دلوقت"، تحدثه بتردد، وتذكره أن هناك تاسكس لها أكثر من أسبوع مؤجلة، ينهرها بصوت عال، ويطلب منها أن تعد له كوب لاتيه، تخرج مسرعة، وتصفق الباب ورائها. يفتح درج مكتبه الأول ويقلب في الأشياء الموجودة فيه، لغير سبب محدد، يخرج زجاجة بيرفيوم ماجنتيزم- إسكادا خالية، يحاول أن يتذكر منذ متى غير البيرفيوم الذي يستعمله من إسكادا، إلى ألّور هومّ - تشانيل الذي يهيّج "أمان" كما سبق وأن أخبرته. يركن أخيرا إلى أن المدة تتراوح من سنة وأربعة أشهر، إلى السنة وستة أشهر. تطرق السكرتيرة على بابه من جديد؛ فيفيق من شروده، ويأذن لها بالدخول بعد أن يلقي الزجاجة بإهمال في الدرج. تضع ماج اللاتيه أمامه، وبلا كلمة واحدة تنصرف. أتأفف من تكشيرة وجهها. أفتح الدرج من

جديد، وأقلب في قاعه، فأجد الساعة الروليكس ملقاة بإهمال. أنظر للعقارب فأجدها متوقفة، أخمن أن البطارية نفدت. أتأمل معصم يدي اليسرى حيث من المفترض أن تطوقه الساعة، كما اعتدت دائما؛ فأجد أثرا خفيفا لا يلاحظ، عبارة عن فارق للون البشرة، بين أسفل المكان المفترض للساعة على يدي، وبقية اليد. أبتسم حين أرى العديد من الحظاظات الجلدية، والمطاطية في معصمي بدلاً من الساعة. الآن فقط يلحظ أنه تخلى عن لبس ساعته كما اعتاد، واكتفى بالحظاظات كما تفعل زوجته. يرشف قليلا من اللاتيه بيد، ويواصل التقليب بيده الأخرى في الدرج، يسرح في صورته المنعكسة على زجاجة البيرفيوم الخالية. يخطئ في وضع الماج على مكتبه، فيندلق اللاتيه على الأرض، ويبلل أسفل قميصه المشجر، وبنطلونه الكتان، فيصرخ قائلاً: "شيت" وينادي على "هنا".

***

بعد أن سافر"عمرو"، كان "أمجد" قد أخبر "أمان" عن ما يكنه لها أخوه، وعن الحديث الطويل الذي دار بينهما عنها، في البداية أنبت "أمجد" لفتحه ذلك الموضوع، الذي استأمنته عليه كسر، ثم تظاهرت باللامبالاة، وقالت إن قرار سفر "عمرو"، هو بالفعل قرار حكيم. أخبرها "أمجد" أيضا بغضب رأته مفتعلاً، عن شكه في علاقة ما تجمع بين "عمرو" و"ميريت".

نظرت له، نظرة طويلة، محاولة أن تفهم أي نوع من الاستهبال يمارسه معها، ثم ربتت على كتفه، قائلة بسخرية: "معليش.. أصل الدنيا زي الخيارة يا أمجد!". في ذلك اللقاء، حاولت "أمان" أن تضحك بصوت عال على كل صغيرة وكبيرة بلا سبب، أن تهرج طيلة القعدة، وتكون أكثر ابتهاجا. "أمجد" الذي يعرفها جيدا أدرك زيف ابتهاجها الذي تدعيه، لتغطي على ألم ما. "أمجد" خمن أن المشاعر بينها وبين أخيه متبادلة.

***

ينتهي يوم العمل بطيئا، دون أن ينجز "عمرو" شيئا يذكر. يستعد لمغادرة المكتب، ويرتدي جزمته، ثم يتصل بواحدة من على موبايله، ويتحدث معها بسرعة، واقتضاب، ثم يخبرها في نهاية المكالمة أنه لن يتمكن من رؤيتها اليوم. تقول له: "أصلاً ينعل دين أمك"، وتقفل السكة في وجهه. يرمي موبايله على المكتب بإهمال، وينظر له في شرود لعدة ثوان، يلتقطه من جديد ويتصل بأخيه "أمجد"، يدعوه لتناول الإسّبريسّو معه ع السريع، في "بينوس" الكائن في الشارع المواجه لشركته.

ينهي "عمرو" شرب فنجانه، وهو يطفئ سيجارته الرابعة، ويواصل حديثه مع "أمجد" قائلاً: "أصل أمها دي بنت مجانين، عايزني أقول لها كده بمنتهى البساطة، بنتك محتاجة لدكتور نفسي؟؟! ما انت عارف يا أمجد!".

يحاول كعادته "أمجد" أن يهوّن الأمر علي، ويحثني على مجرد المحاولة. يطول حديثنا، ويتطرق "أمجد" إلى علاقتي الأخرى، ناصحاً إياي بأن أقطعها فورا! يرد "عمرو" بعصبية. يشعل سيجارة، ويحاول أن يهدأ قليلا، ثم يقول: "يا أمجد، صدقني الموضوع مش مجرد سكس وبس، أنا فعلاً محتاج أفصل، صحيح "أمان" ما خلتنيش ألمسها من ٤ شهور، ويمكن أكتر، بس والله ما علشان كده، أنا في ضغط عصبي ما حدش يقدر يستحمله، محتاج ده علشان أعرف أكمّل". يحذره "أمجد" من أن الأخرى تنظر للعلاقة من جهة مختلفة، غير تلك التي يراها، ويحذره أيضا من انكشاف علاقتهما، وأن زوجته لا تستحق منه ذلك أبدا، فيرد "عمرو" قائلاً: "هي مش عايزة غير نيك حلو وبس، ووضعنا ده فعلا عاجبها". لا يتكلم "عمرو" مع أخيه في الحقيقة التي يعرفها كلاهما جيدا، "عمرو" يكن للأخرى مشاعر، لا يود أن يعترف بها، بل إنه يبحث فيها عن "أمان" التي لا يريد أن يعترف حتى أمام نفسه بأنها تضيع منه، بل وأنه يفقدها للأبد. يغيّر "أمجد" دفة الحديث بعد أن يلاحظ انفعال "عمرو" ويعاود الحديث عن"أمان" وأمها. أخبره أني كلمت "إيمان" هذا الصباح بالفعل، وأنها مع حماتي في البلد الآن، ليلمّوا إيجار العمارة من هناك، وستعودان بعد أسبوع إن شاء الله. يستأذن "أمجد" للذهاب للتواليت. أشرد قليلاً، لا أدري في ماذا. أفيق منتبها حين ألاحظ رائحة البرفيوم الذي يضعه "أمجد"، المقبل علي، عائدًا من التواليت. اسأله مندهشا: "منذ متى وانت بتستخدم ألّور هومّ؟!"؛

يبتسم "أمجد" ويقول إنها تعجبه، فما المشكلة، ثم يستطرد ضاحكا ويقول: "مانت عارف، إنت أخويا الكبير، وأنا أحب دايما أقلدك".

***

حزنت "أمان" كثيرا لسفر "عمرو" وافتقدته بحق. يجدر بها أن تعترف بهذا حتى بينها وبين نفسها، لا ضير في ذلك. طال غياب "عمرو" في إسبانيا دون أن يحاول الاتصال بها ولو لمرة، وتجنب "أمجد" الحديث عن أخباره تماما معها، حتى وإن حاولت استدراجه في الكلام من تحت لتحت. حينها قررت "أمان" أن تنساه للأبد. هو الذي لم يهن عليه أن يطلب حتى من أخيه السؤال عن أخبارها. وضعت لنفسها خطة زمنية، وقررت بعدها أنه لن يأخذ منها وقتا أكثر من شهر. ثلاثون يوما كافية تماما لتمحوه من ذاكرتها. تعتقد في أن الله أخذ منها كل شيء وأعطاها ضحكة بلهاء، أو فشخة ضب- كما يحلو لأمها أن تسميها- تواجه بها الدنيا على سوادها، وملاكين حارسين عن يمينها وشمالها، جديرين بنبية مثلها. تضحك من كونها تعتقد نفسها نبية، المشكلة فقط أن لكل نبي رسالة، وهي بلا رسالة حتى الآن، تقنع بأنها نبية على ما تفرج، على ما يقرر الرب أن يوحي لها برسالة، والأهم أيضا أن الله أعطاها زرا في مكان ما في عقلها، فقط إذا ما ضغطت عليه بكامل إرادتها الحرة، سيحصل

"شيفت وديليت" فورا، لأي شخص، أو حدث، أو موقف تريد أن تنساه. النسيان ليس صعبا بالنسبة لها، الصعوبة تكمن في أن تكون عندها الإرادة والقوة الكافية لتقرر ذلك، وهاهي قد قررت الآن الضغط على الزر.

***

"أمان" الآن مانيكان بلاستيكي، له بطن منتفخ، يقف عاريا في فاترينة محل، وجوارها مانيكانات أخريات. تحاول جاهدة أن تستدير برقبتها، لتنظر بفضول إلى وجوه المانيكانات حولها، فلا تستطيع، حتى أن بؤبؤ عينيها لا تستطيع أن تحركه أيضا. تستسلم وتقرر أن تركز نظرها على مجال الرؤية المسموح لها به. ترى خلف الفاترينة الزجاجية "عمرو" يمسك يد "إيمان" التي تحادثه في دلال، يعبران الشارع المقابل للمحل، ويتجهان نحوها. يقفان الآن أمام الفاترينة. "عمرو" يهمس لـــ"إيمان" بكلام ما، فتضحك "إيمان" ضحكة سافلة، لم تسمع "أمان" أختها تضحكها من قبل. تشير لها "إيمان" بإصبعها الأوسط، فيضحك عمرو، ويبوسها عضا من شفتها السفلى، ويمضيان مبتعدين. يظهر دكتور النسا فجأة أمام الفاترينة، يمسك بلوكْ نوتْ ويكتب فيها بانهماك، ينظر إليها، وعلي وجهه ابتسامة صفراء، ويواصل الكتابة، تذكرها نظرته بنظرة

دراكيولا لضحاياه قبل قضم أعناقهم. فجأة يظهر "عمرو" إلى جانب الدكتور، يتحدث معه، ولا تسمع "أمان" ما يقول، يبدو وكأنه يمليه ما يكتب. يضحكان ضحكات شريرة، ويتصافحان فيما يشبه العهد، ويمضيان مبتعدين معا. تظلم الدنيا، تفتح "أمان" عينيها لتجد نفسها في الجراح من جديد. يقف الرجل الذئب أمامها، ويحدثها، لازال القناع على رأسه بنفس ذات النظرة الزجاجية الثابتة، والفم المغلق. ولا تزال لا تعرف مصدر الصوت الذي يأتي من كل مكان، لاتزال أيضا تشعر تجاهه بتلك الألفة المبهمة. يتحدث كثيرا، وتسمعه بتركيز شديد. لن تذكر منه حديثه الطويل سوى أنها أخيرا عرفت الحقيقة: حقيقتها، وحقيقة طفلها، وحقيقة كل من حولها. تشعر بخوف شديد، ترتجف بعنف، والعرق يفيض من كل جسمها، تعجز عن أخذ نفسها.

***

على السرير، تتشنج "أمان"، دموع تسيل بغزارة من عينيها بلا أي صوت. أتجنب النظر لكل ما حولي، الأباجورة مخيفة، والستارة، الشبشب على الأرض، ومرآة التسريحة كذلك، أنا أعرف جيدا أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزًا ما من ذلك السواد

العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر ممكن من الألم.. تغمض جفنيها بسرعة، وتغيب تماما بعد ثوان.

"عمرو" يشعر باستيقاظ "أمان" فزعةً جواره، يتظاهر بالنوم، يشعر بجسمها ينتفض بعنف، فيما يشبه نوبات صرع، إلى أن سكنت تماما. ظل "عمرو" على حاله هذه متظاهرا بالنوم، إلى أن رن جرس المنبه وأغلقه. التفت إليها فوجدها نائمة بعينين نصف مفتوحتين، أشاح بوجهه بعيدا كالملسوع، ارتدى ثيابه وغادر على عجل.

***

عاد "عمرو" إلى القاهرة مرة أخرى بعد عشرة أشهر من سفره، ورأى أن الفترة كانت كافية حتى يفكه من حوار "أمان"، خاصة بعد أن دخل في علاقتين، وإن كانتا عابرتين. يعرف جيدا أنه ليس لفشلهما السريع أي علاقة بحوار "أمان"، مجرد حظ ابن وسخة يلازمه. قرر أن يستكمل مشروع افتتاح فرع الأتليه هنا في القاهرة، ويوزع وقت إقامته بين القاهرة وإسبانيا لإدارة الفرعين وفقا لمجريات، وآليات العمل. تعددت لقاءاته مع "أمان" في شلة الأصدقاء من جديد. كان يرى أنه يشعر الآن ناحيتها بعاطفة محايدة تماماً، وشفقة، يجتهد طيلة الوقت لإخفائها. "مخلوق

غلبان، وجميل على الرغم من كل شيء"؛ هكذا يقول لنفسه، حين يتأملها على حين غفلة منها.

***

بعد أن تناولت "أمان" إفطارها قررت أن تشاهد فيلما، جلست على الأرض، أسفل مكتبة التلفزيون. لاحظت أن التراب تكوم كثيرا على الفيديو القديم الذي اشتراه أبوها لهم زمان، وصممت أن تأخذه من بيت أمها معها في جهاز زواجها. تحضر فوطة من المطبخ وتجلس من جديد لتمسح التراب عن الفيديو. تقلب في شرائط الفيديو المرصوصة أسفل المكتبة، تطالع الأسماء، وتجتر ذكرياتها، تلك أيضا شرائط الفيديو التي اقتناها أبوها طيلة حياته، منذ أن اشترى الفيديو، وكانت قد أخذتها معها أيضا، خاصة وأن "إيمان" لم تعارض، وأمها لا تهتم بأشياء كهذه تراها تافهة. أغلب الشرائط لأفلام شارلي شابلن، وإسماعيل ياسين، وبعض أفلام الكارتون المدبلجة النادرة. تطالع بفضول التيب الملصوق على واجهة شريط كارتون "زينة ونحول"، تقرأ: "هدية العيد الصغير إلى "أمان"، و"إيمان". كل سنة وأنتم طيبين. من أبيكم المحب محمد عبد الرحيم- مايو ١٩٨٧". كانت في الرابعة من عمرها وقتها، تشرد محاولة استعادة تفاصيل ذلك اليوم. تذكر جيدا: فستان الوقفة لبني اللون، البالون البرتقالي

الضخم المعلق في وسط سقف الصالة، الزينة ذات الشراشيب، لعب العيد، البيانو البمبي ذي المايك، الذي نزل أخيرا من فوق الدولاب وعروسة "إيمان" الضخمة، التي أسمتها "نرمين". تترل الدموع منها حين تذكر جلستيهما باهتمام بالغ، أمام حلقات الكارتون على شريط الفيديو، وساندويتشات المربى بالقشطة التي يحضرها لهما أبوهما أثناء المشاهدة. تضرب الأرض بكلتا يديها، تنادي على أبيها، ويستحيل بكاؤها صراخا. للحظة تخيلت أنه سيأتي ليحملها، ويهدهدها إلى أن تهدأ، ثم يملص أذنها، طالبا منها عدم البكاء بعنف هكذا مرة أخرى. توقفت عن بكائها فجأة ومسحت وجهها بكفيها، والتقطت شريط فيديو فيلم: "في الهوا سوا". لا يمكن أن تحصي عدد المرات التي شاهدت فيها هذا الفيلم، أثناء طفولتها بالذات. كان يضحكها كثيرا دور إسماعيل ياسين في الفيلم. وضعت الشريط في الفيديو، واندهشت حين وجدته جاهزا للتشغيل. أخذت الريموت وجلست على الكنبة. أتابع أحداث الفيلم كأني أراه للمرة الأولى! تفاجأت حين وجدت أن البطلة ليست "شادية"، بل واحدة ست بقناع بلاستيكي أبيض، فيه بقعة دائرية حمراء جنب عينها الشمال، والعيون عبارة عن تجويف أسود فارغ، لا يوجد لها فم، ومرسوم مكانه ابتسامة بهلوان عريضة، وشعرها قصير، ثقيل قوي وأسود، ولها جسم مثل جسم "سامية جمال"، ورأيتني بنفسي في الفيلم أمثّل دورا ثانويا. شعرت بخوف شديد حين عرفت من خلال توالي الأحداث، أن الست أم قناع، تنوي لي الشر، وتدبر خطة مبهمة للخلاص مني. . أنا أعرف جيدا أننا

مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزًا ما من ذلك السواد العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر ممكن من الألم.

أطفأت الفيلم دون أن أكمله، وقمت لأعمل سيرش على اسم الفيلم. كان مذهلاً لها أن تعرف كمّ جوائز المهرجانات العالمية التي حصل عليها هذا الفيلم، رغم أنها شاهدته مرات لا تحصى، إلا أن تلك هي مرّتها الأولى التي تراه فيها بهذا القدر من العمق، وبهذا الفن التجريدي المتقن، حتى أنها اندهشت من أنها كانت تعامله قديما على أنه فيلم تافه.

***

بعد عودة "عمرو" من إسبانيا، تعددت اللقاءات من جديد، وعادت المياه إلى مجاريها، كانت "أمان" قد نسيت الموضوع برمته، أبدت ابتهاجها لعودته سالما، ولامته على التنفيض، واحترمت قراره غير المعلن، وحافظت على إطار الصداقة الرسمي للعلاقة طيلة الوقت. حدث وأن استفرد بها "أمجد" ليلة ما في كافيه، وواجهها بيقينه بحبها الدفين لأخيه. لم تنكر "أمان" واعترفت هكذا بمنتهى البساطة، ثم شددت على أن ذلك كله كان ماض وانتهى بمجرد إعلانه عن رغبته في السفر. أخبرته أيضا أنها على

الفور قررت أن تنسى، واستطاعت بالفعل. كل ما تكنه لـ"عمرو" الآن مشاعر محايدة تماما كأي صديق، وإن كان يغلب عليها الشفقة. أخبرته أيضا عن استحالة وضعيهما رغم تأكدها من صدق حبه، ابتسم "أمجد" في مرارة، وأخبرها الكثير الذي يفترض أنها لا تعرفه عن "عمرو"، أمور تزيد من استحالة وضعهما وتعقيده. تركته "أمان" يتحدث، وواجهته في النهاية بأن أغلب ما قاله كانت هي قد خمنته، أو عرفته بطريقة أو أخرى، وحين أبدى "أمجد" اندهاشه قالت: "يوووو يا أمجد.. انت لسه هتعرف يعني؟؟ طول عمري بتشد لهم زي المغناطيس كده.. أنا والسيكوباتيين سلوكنا ملمسة مع بعض دايما". يبتسم "أمجد" مربتا بحنان على كتفها، فترد عليه بابتسامة قانعة. في نهاية اللقاء كان في ذهنها سؤال واحد لا غير: لماذا يسعى "أمجد" دائماً للنخورة في الجرح، كلما أوشك على الاندمال؟ ربما هو لا يعي ذلك، أو لا يقصده، لكن ــ على أي حال ــ لماذا؟؟

***

"عمرو" في الشركة يعتذر لعم "جابر" الساعي عن زعيقه له هذا الصباح، ويخبره أنه في مود سيئ، ويطلب منه أن يدعو له. يقبل عم "جابر" اعتذاره بصدر رحب. أذهب بعدها إلى السكرتيرة على مكتبها، لا تلحظ وجودي مع انشغالها بالعمل على الكمبيوتر أمامها. أقف لثوان

معدودة أتأملها في صمت مبتسما، لم تلاحظني حتى الآن، أتنحنح بصوت خفيض، فتنظر لي من خلف الشاشة، أخبرها عن اعتزامي مغادرة الشركة الآن، تهم بالحديث عن بيتي الذي سينخرب، أسارع في الرد قبل أن تتمادى في اسطوانتها قائلاً إن الأمور لا تحتاج إلا لسفرية ٢٠ يوم فقط إلى إسبانيا، ألمانيا، وإيطاليا، لضبط وضع الأوردرات الموجودة، مع السادة المستوردين، والحصول على أوردرات جديدة بالمرة، وأن الوضع ليس بالسوء الذي تحسبه. أبتسم مشجعا إياها وأخبرها أني أعتمد أيضا عليها. أصمت حرجا أمام نظرة عينيها اللائمة، أستدير وأنطلق على الفور. يعطيها ظهره، ويمشي بخطوات سريعة عبر الكوردور المقابل لمكتبها، متجها إلى باب الشركة. تتأمل قامته الطويلة، وشعره الأسود المنمق، الذي تشوبه خصال رمادية على الجانبين، تستحضر شكل ملامحه المليحة الحادة، وعينيه الصفراوان اللون، فتفكر باسمة أنه نسخة لا تصدق من "جورج كلوني".

***

تخلى "عمرو" عن مشروع الأتليه، الذي عاد مخصوصا لاستكماله، وعوضا عن ذلك قرر أن يفتتح شركة لتصدير الملابس، بعد أن أدرك أن موارد التصنيع - الخامات، والعمالة - رخيصة جدا في مصر مقارنة

بأوربا. ما عليه إلا أن يصمم الديزينات، وينفذ على الفور، ثم يغرق أوربا بإنتاجه. لن يكون ذلك بالصعب، خاصة أن معارفه هناك، وفي إسبانيا بالذات، أغلبهم يعملون في هذا المجال. استعان "عمرو" بـــ "أمان" التي كانت تعمل مهندسة تخطيط في إحدى مصانع الملابس الكبرى، وكانت خير عون له، سواء في التسعير، وفقا لأسعار السوق المصري، أو تسكين طلبياته في المصانع، أو حتى توسيع دائرة معارفه كمُصدّر جديد في سوق الملابس. أكثر ما أدهشه، هو أن تلك القطة المدللة، تتحول بدون مقدمات إلى وحش كاسر في عملها يزأر طوال النهار. عملها ذلك الذي يندر أن تشتغل فيه النساء غالبا لمشقته، وكثرة تنقلاته. عرض عليها أن تعمل معه، فرفضت حتى لا يخسران صداقتهما، ورشحت له زميلة وصديقة تثق فيها جيدا، فعينها على الفور.

***

يعود "عمرو" إلى البيت بعد منتصف الليل. تجري "أمان" مندفعة على غير عادتها نحوه، وتخبره أن يومها كان غريبا. ستحضنه، وتشم رائحة تتعرفها على الفور. سيضمها بعد أن يتردد لثوان مندهشا. تجلس على الكنبة أمامه، محاولة إخفاء ضيقها من حضنه البارد، ورائحته. تنظر له باسمة، وتطلب منه أن يغير ملابسه بسرعة، حتى تحكي له ما حصل.

يخرج "عمرو" من غرفتهما، مرتديا بيجامته. يتجه إليها في الريسبشان، ليجدها تمسك بشريط فيديو، تعطيه إياه سائلة إن كان قد شاهد هذا الفيلم، يومئ إيجابا. تسأله بمرح عن رأيه؛ فيجيب بأنه فيلم ظريف، تخبره أنها تسأله عن رأيه في دورها القوي رغم كونه ثانوي، والذي أدته في الفيلم، وليس رأيه في الفيلم. ينظر لها فاغرا فمه، فتقول إنها خلاص فهمت أن الدور لم يعجبه، وأنه محرج من أن يقول ذلك. تبتسم تفهما. تخبره أنها وجدت تليفون المخرج على النت، واتصلت به لتعبر عن إعجابها الشديد بالفيلم، وأنه أثنى على ذائقتها، وذكائها الرهيب، تقول: "تصدق إنه قال لي إن أنا الوحيدة اللي خدت بالها من وجود الست أم قناع في الفيلم، مع إنها مش موجودة في ولا مشهد!!!!". تسحبه من يده إلى الكمبيوتر، وتشير إلى الشاشة المطفئة قائلة: "شايف؟ شايف كم الجوايز اللي خدها الفيلم اللي الناس كلها فاكراه تافه؟؟ شايف يا عمرو". ينحني"عمرو" ليلتقط فيشة المشترك الموصل به أسلاك الكمبيوتر، ويضعه في القابس أمامها، في محاولة منه للفت نظرها بصورة غير مباشرة إلى أن الكمبيوتر مطفأ من الأساس. حين أنظر إلى وجهها أجد تعبيرا لا أفهمه. أحاول أن أغير الموضوع سائلاً إياها لماذا لم تسألني إن كنت تعشيت أو لا. يرتسم على وجهها تعبير ساخر، وترد بأنها تعرف أنه تعشى طبعا. تستحيل نبرتها الساخرة إلى نبرة يائسة، وتطأطئ رأسها قائلة إنها داخلة لتنام. تمشي خطوات، ثم تلتفت له قائلة إنه إذا كان سينوي البكاء بصوت

عال مثل كل ليلة، فعليه أن يخفض دين أم صوته قليلاً؛ لأنه يسبب لها الكوابيس. تعطيه ظهرها دون أن تنتظر منه ردًا، وتتجه رأسا إلى السرير.

***

وطدت علاقات العمل ارتباط "عمرو" بـــ "أمان" من جديد. بدأ "عمرو" يدرك بقلق أنه غصبا عنه اعتادها. اعتاد رؤيتها كل يوم، أو على الأقل سماع صوتها. ثم لاحظ أنه لا يستطيع السيطرة على ضيقه، حين يرى "أمجد" يبالغ في تهريجه معها، في الأيام التي تجتمع فيها الشلة في خروجة ليلية. وكان في يوم أن انقلب وجهه تماما، مما لفت نظر باقي أعضاء الشلة حوله، ودفعهم للسؤال عن سبب ضيقه، حين رأى "أمان" تأنجش "أمجد" بود، وهما يدخلان الكافيه، متجهان إلى حيث يجلسان. لم يرغب في أن يقر أبدا بأن ما يشعر به هو الغيرة، فقد عزا ذلك إلى كون أمجد أخاه، وهي صديقة لكليهما، مما يضعهما لا شعوريا في موضع المنافسة، والدليل أنه لا يتضايق إذا هرجت مع أي أحد آخر من الشلة، أو في المطلق حتى!

***

في الصباح قررت "أمان" أن تتمشى قليلا، كما طلب منها الدكتور في زيارتها الأخيرة له. أثناء ارتداءها الترانينج، تنتابها فلاشات من حلم سيئ جديد لا تذكره. ترتدي الكوتشي، تتصل بعمرو لتخبره أنها ستترل تتمشى قليلاً في نادي الجزيرة. يوافق "عمرو"؛ فتأخذ مفاتيح الشقة، والموبايل في جيبها وتترل. نادي الجزيرة، يبعد عن العمارة بأربعة شوارع. في الشارع ترى "أمان" الأشياء أكثر وضوحا، يبدو ضوء الشمس أقوى، والرؤية أكثر صفاء، تندهش "أمان"، وتشعر بدوار ينتابها، تواصل سيرها مترنحة، ثم فجأة تتذكر الحلم، تتذكر الرجل الذئب، الذي أخبرها الحقيقة، يذهب عنها الدوار، تمشي بثقة، تعرف حقيقة كل شيء الآن، ولذلك تشيح بنظرها بعيدا، عن الناس، والأشجار، والعربيات، تبحث عن العدم لتنظر له باطمئنان، فهو الشيء الوحيد الجدير بثقتها الآن. تصل للنادي، وتتجه للتراك، تجد ميس "فريدة" كعادتها تلفه، تسلم عليها، ويمشيان معا على مهل. تتحدثان كثيرا، أعرف أن ميس "فريدة" على مشارف الستين، لذلك أنا مندهشة جدا من تلك اللمعة في عينيها وسط جفنيها الذابلين، تدهشني أيضا لمحة براءة أو طفولة في ضحكتها، وطريقة حكيها. دائما عينيها تسبق فمها بالكلام، فيستطيع الواحد منّا أن يخمن ما ستقول قبل أن تلفظ به. أعطاها الرب رضا وصفاء روحي تحسد عليه. أشعر فجأة أني أحب هذه الميس "فريدة" جدا. أنا أعرف جيدا أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزًا ما من

ذلك السواد العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر ممكن من الألم. حين تنطلق الدموع من عينيّ ميس "فريدة"، خلال ضحكة طويلة صادقة ــ تبكي وتضحك في نفس واحد- ستبكي "أمان". سيواصلان الحديث، والمشي، والبكاء، وستخبرها ميس "فريدة" في نهاية حديثهما، أنها عملت كل هذا لأجلها.

***

لم يذهب "عمرو" إلى الشركة هذا الصباح. هو جالس الآن لوحده، في ريستوران "لو ستيك" في باخرة الباشا بالزمالك منتظرا حضور "أمجد"، يتذكر قصة الفيلم ليلة البارحة، يتذكر بكاؤه كالأطفال الليل بطوله على الكنبة في الرسبشن، فيشيح بنظره بعيدا إلى صفحة النيل الرائقة، تلتمع على سطحها رقائق من الشمس. يختنق، ويغمض عينيه بشدة في ضيق، وحين يعجز عن مقاومة دموعه، يخرج نظارته الشمسية الريبان السوداء، يرتديها، ويطلق سراح دمعه، ثم يرشف رشفة من كأس الريد واين على الترابيزة أمامه. يشتد بكاؤه، كل ما يريده الآن هو أن يعود طفلاً. المشكلة ليست في أنه ينام مع واحدة غير "أمان"، هي سمحت له بذلك صراحة، مادام أنه ذكي كفاية بحيث يجعلها لا تشعر بذلك. هو واثق أن "أمان" في عالم آخر الآن. المشكلة في أنه يفقد "أمان"، وأنه عاجز

حيال ذلك، وأن عليه أن يعترف. يسّلم عليّ أمجد ويجلس أمامي على الكرسي المقابل، رائحة بيرفيوم "الألّور هوم" تخرق أنفي. ينظر لي من أسفل نظارته الشمسية، سائلاً إن كنت أبكي، أنهار على الفور واستسلم لدموعي. يحاول "أمجد" جاهدا تهدئتي والتهوين علي، أعرف أنه يحب "أمان" بالقدر الذي أحبه بها، أعرف أن داخله بركان قلق، يخفيه ببروده المصطنع، يخبرني باسما، أن كل ذلك سينتهي بمجرد الولادة، يشير إلى بنوتة صغيرة تلعب ببالونة، ويقول وسيكون عندكم نونو جميل مثلها يملأ حياتكم سعادة، ويعوضكم عن كل هذه الأيام. ينظر "عمرو" للبنوتة، ويبتسم رغما عنه، تحدف البالونة ناحيتهما؛ فيمسك بها أمجد، داعيا إياها أن تأتي لتأخذها. تأتي الفتاة وتتجه إلى "عمرو" قائلة: "عمّو عمّو ممكن آخذ البالونة بتاعتي"، ينظر "عمرو" باسما إلى "أمجد" الذي يمد يده إليها بالبالونة قائلاً: آه طبعا، خديها من عمو أمجد أهو". تنظر الصغيرة لعمرو بريبة، ثم تأخذ البالونة من فوق الكرسي الخالي المقابل له، وتجري مسرعة نحو ترابيزة أمها.

***

لاحظت "أمان" بضيق تعلقها بـــ "عمرو" من جديد، على نحو لم تتوقعه. خاصة بعد حوار الشغل هذا الذي جمع بينهما بصفة يومية تقريبا.

حاولت أن تتدارك ذلك، فرفضت العرض الجيد الذي قدمه لها بالعمل معه. حاولت أن تخرج بالعلاقة من مطب الاعتياد هذا إلى مجرد الصداقة من جديد، و لم تفلح. شيئا ما، لم تستطع أن تمنطقه، أو تدرجه تحت فكرة واضحة، أو تطلق عليه مسمى معين حتى، شيء شعرت به. ذلك الشيء ينمو باطراد بينها وبينه، حاولت أن تتجاوزه كثيرا، حاولت أن تقاومه، وحين فشلت استسلمت أخيرا بشيء من الألم لفكرة تسطيح العلاقة إلى أبعد مدى، لن يكونا صديقين - كما كانا حتى- بعد الآن. ثمة جزء صغير جدا، مدفون في أعماق لا وعيها، تغذيه بجهل منها، عن طريق إنكاره وتجاهله، ذلك الجزء - الذي لم تجرؤ على أن تكشفه منذ عودته يوماً حتى بينها وبين نفسها- يرغب فيه لأبعد مدى، يرغب في أن تكون له ولوحده فقط، حتى آخر يوم في عمرها.

***

في المساء "عمرو" يجلس على الكرسي المجاور لحماته الآن في الصالون، يحادثها عن وضع "أمان" بصوت منخفض، بعد أن مهدت لها "إيمان"، وفقا لمكالمة "عمرو" معها. "إيمان" تجلس على الكنبة، تنف بصورة عصبية في المنديل الذي تحمله، وعيناها شديدتا الاحمرار، و"أمان" في المطبخ تعد لهم الشاي. يتحدث "عمرو" وتنظر له حماته بريبة، لم تكن

يوما تريد لبنتها زوجا مثله، لا يقدر على المسئولية، بل إنه هو مسئولية ومصيبة لوحده، لكنها تزوجت على كل حال، وهذا منتهى ما كانت تريده. تقاطع كلامه بين الحين والآخر مهونة لما يقول، ثم تحتد عليه، وتهدده بأن تأخذ بنتها عندها حتى تلد، إلى أن يسترجل ويعرف كيف يحمل مسئوليتها، ويتحمل وضعها. يحتد"عمرو" عليها هو الآخر، وتتوسل إليهم "إيمان" أن يخفضا صوتهما حتى لا تسمعهما "أمان". تلمّح حماته من تحت لتحت بأن أمه، لها يد فيما يحصل لبنتها، تقصد عاملة لها عمل يعني. يعرف "عمرو" في الآخر، أنه لن يصل معها لشيء، وأنها لن تعترف مطلقا، أمامه بالذات، بأن ابنتها تعاني نفسيا، وأنها بحاجة لدكتور. يقصر في الكلام، ويعتزم في قرارة نفسه، أن يتحمل الليلة كلها لوحده. هذه الست العجوز الهيستيرية جديرة بشفقتي، إلا أني أحمّلها المسئولية المباشرة لما تعاني منه "أمان" الآن، أعرف جيدا أن "أمان" لا تحبها، وإن تظاهرت بغير ذلك، وإن كانت لا تطيق أن أقول أي كلمة سيئة عنها أمامها.

"أمان" واقفة خلف باب الصالون الزجاجي، المغبش، تحمل صينية الشاي، تسمع كل ما يقال، وتندهش لأنها لا تفهم منه حرفا، تحاول التركيز أكثر، تسمعهم بوضوح، ستأخذ وقتا حتى تستوعب أنهم يتحدثون بلغة غريبة لا تعرفها، المقاطع ومخارج الكلام واضحة، لكن اللغة ليست بالعربية. تفتح الباب الموارب، وتتقدم حاملة الصينية، ينقطع حديثهم، وهنا تنظر لهم باسمة، وقد اتضح لها كل شيء، لم يكذب الرجل

الذئب إذن، تضع الصينية على الطاولة الرخامية وتجلس، على الكرسي المقابل لهم، ستلاحظ أن "عمرو" جالس على الكرسي المجاور للكنبة التي تجلس عليها "إيمان". أقوم بتوزيع أكواب الشاي عليهم، فتبادرني "إيمان" قائلة شيئا ما باللغة الغريبة، أخمن أنه "عنّك". أتركها، وأعاود الجلوس على الكرسي. أنظر لها خلسة وألاحظ أنها ستقدم لـــ "عمرو" أول كوب وهي باسمة، وستقدم لي آخر كوب في الصينية، متعمدة تهميشي. أنا أعرف جيدا أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزًا ما من ذلك السواد العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر ممكن من الألم. ترشف "أمان" الشاي، تكلمها أمها، تسمع رنين مقاطع كلماتها واضحا، رنين مهيب، كأنه صوت أجراس كنيسة، في نهار شتوي كئيب، لكن اللغة لاتزال مبهمة، ينغلق عليها فهمها، تتشنج عضلات خدها الأيسر بصورة عصبية، فتشيح بنظرها إلى "إيمان" التي ستفاجأ، فتتوقف عن تبادل نظرات السهوكة مع "عمرو"، ستشيح "أمان" بنظرها مرة أخرى، إلى الستارة، فتلاحظ أنه منقوش عليها أشجار مخيفة ميتة بلا أوراق، وهكذا ستلاحظ "إيمان" أن بؤبؤ عيني أختها، يتحرك بذعر وسرعة في كل الاتجاهات، ستنف بعصبية، وتقاوم الدموع، وتذهب للجلوس على الكرسي المجاور لأختها، تربت عليها في حنان، وتحاول النظر بحب مباشرة لعينها، ستلحظ نظرة كراهية مريرة في عين أختها تجاهها، ستملس على شعرها، وتحاول

احتضانها، تدفعها "أمان" بعنف، وتصفعها على وجهها، وقبل أن تفيق "إيمان" من هول المفاجأة، ستتف "أمان" على وجهها بغل، وتتجه جريا إلى غرفة نومها.

***

لاحظ "عمرو" تعمد "أمان" اجتنابه. فقد كانت نادرا ما تقابله، ويكون ذلك دائما في حضور الشلة. تحججت بانشغالها الدائم، منذ أن التحقت بالدراسة في معهد الموسيقي الحر، لتتعلم عزف البيانو، تفهم رغبتها، وإن كانت آلمته، وتركت فراغا لم يعمل له حساب في حياته. إلى أن جاءت تلك الليلة التي احتفل فيها بعيد ميلاده، بعد سنة تقريبا منذ عودته من إسبانيا. كان "عمرو" قد قرر أن يحتفل مع "أمان"، و"أمجد" فقط، دون باقي الشلة. تناولوا العشاء في باخرة ماكسيم. كانت "أمان" ترتدي فستانًا نبيذي اللون، يكشف نحرها البالغ الجمال. هذا اللون مع بشرتها البيضاء اللامعة يجعلها مغوية حد الموت، هكذا قال "عمرو" في نفسه، حين أقبلت عليهما باسمة. بعد الأكل، تتحدث "أمان" مع كليهما بود، وحميمية، كان "عمرو" قد افتقدها في حديثها معه على وجه الخصوص. كانت تتحدث عن مشاكل في عملها، تنفعل وتسب المصنع الذي تعمل فيه، ثم ينبسط وجهها العابس في طرفة عين، ويبش فجأة،

حين تقطع كلامها العصبي دون سابق إنذار، بنقد ساخر لأصحاب المصنع، أو لها نفسها، وتستغرق في ضحكة طويلة مجلجلة، وكذلك يفعل أمجد، بينما يكتفي "عمرو" بالابتسام مستمتعا، قائلاً في نفسه: "أحا! إزاي ممكن أعيش من غيرها!!".

***

يستيقظ "عمرو" في يوم أجازته باكرا، على غير ما تعود. يحرص عن أن يقوم من السرير على مهل، حتى لا توقظ حركته "أمان". يتنهد حين يقف على رجليه. أنظر لها، فأجدها نائمة، تنهنه من حين لآخر. أتفرج على التليفزيون، إلى أن تستيقظ. تصحو هي بعدي بنصف ساعة. تخرج من الحمام، وتتجه صامتة إلى المطبخ، دون أن تصبِّح عليّ. "أمان" لم تعد تحبني، نعم هذه هي الحقيقة! لا لا هذه ليست هي الحقيقة، كل ما في الأمر أنها تحيا الآن في عالم آخر، ستعود منه حتما فور أن تضع عنها صغيرنا. أقوم من على كرسي الليفنيج وأتجه خلفها إلى المطبخ، أبوسها بود من قفاها؛ فتفزع. أربت على كتفها مطمئننا إياها، وأطلب منها أن تنتظرني في الخارج إلى أن أعد لها الإفطار بنفسي. تقف متسمرة في مكانها، تنظر لي في صمت. يتجاهل وقفتها، ويحضر طبقا يكسر فيه أربع بيضات، ويبدأ في خفقهم، يتوقف فجأة، ويلتفت خلفه ناظرا إليها،

ويسألها إن كانت بخير، لا تجيبه، وتظل على وقفتها تلك كتمثال شمع. يقترب منها، ويقبل جبينها، يخبرها أنه يعرف أنها مودها ليس تمام، ربما بسبب الكابوس الذي رأته في منامها ليلة الأمس، واستيقظت منه فزعة. تتحدث أخيرا بانفعال، وتنكر بشدة، تقول أنها نامت نوماً هانئا بلا أي كوابيس، أو أرق، وأنه يرغب في أن يجننها.

يواصل "عمرو" الفرجة على التليفزيون بعد أن أنهى فطوره، يقلب في القنوات ويستقر على قناة مزيكا التي تذيع كليب "في إيه بينك وبينها" لآمال ماهر. يسترعي الكليب انتباه "أمان" خاصة الكوبليه الذي تقول آمال فيه: "عايز تبعد ما تبعد، واجرح قلبي وعنيا، خني مع واحدة غيرها، مش أقرب واحدة ليا"، تكلمه بحدة قائلة: "اسمعني الأغنية دي بالذات اللي جبتها.هه؟!"، ينظر لها مندهشا، ويقول إنه غير فاهم لسؤالها، تبتسم، وتقصر معه في الكلام، ثم تغير الموضوع لتسأله إن كان سيترل ليصلي الجمعة، باقي نصف ساعة فقط على آذان الظهر. يستغرب سؤالها، ويرد أنه منذ متى وهو يصلي الجمعة أصلاً! تنفعل مرة أخرى وتخبره أنه متعود أن يترل دائما، يتركها تتحدث، ويدخل غرفتهما ليلبس مستعجلاً، ويقول إنها عندها حق فعلاً، وأنه سيترل ليصلي الجمعة. تقّلب "أمان" في قنوات التلفيزيون، سعيا لأن تلهيها الصور عن الزنّ في رأسها، تزهق فتطفئه. أقرر أن أكلم "إيمان" لأواجهها بالحقيقة التي عرفتها كاملة. أنا أعرف جيدا أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا

يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزا ما من ذلك السواد العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر ممكن من الألم. أطلبها على الموبايل، ترد عليّ، فأطلب منها أن تسمعني للآخر ولا تقاطعني، أخبرها بكل شيء، بكل ما أعرف، أحثها على الاعتراف قائلة إني مقدرة لموقفها، وأعرف أنها لم تتخيل أني سأعلم يوما، أخبرها أن الإنكار لن يفيدها، وأني لن أصدقها، لأني عرفت كل شيء خلاص. على الجانب الآخر تنتحب "إيمان" وهي تقول: "عمرو مين ده؟؟ ينعل دين أمه أصلاً.. انت اتجننتي يا أمان؟" تغلق "أمان" السكة في وجهها.

***

في ليلة عيد ميلاده حين شرعوا في الشرب، شعر "عمرو" في أثناء ما كان يتأمل "أمان" المغوية، أنه يرغب فقط وبشدة الآن في أن يبوس شفتيها بعنف، ويدميهما عضاً. أنهتْ شرب الروزي واين، وتنهدت، ثم قالت أنها ترغب في أن ترقص، وسحبت أمجد من كتفه ليقف معها. لا يعرف "عمرو" بالتحديد اللحن الشرقي الذي رقصت على أنغامه، فقط كان يتأمل جسدها البديع يتمايل مع الألحان في انسياب، وراقه كثيرا أنها ترقص مغمضة العينين. نظر لأمجد الذي كان يترنح جانبها، فامتعض.

شرد وفكّر في أنه يرغب في أن تظل موجودة في حياته بأي شكل كان، دون أن يمسها حتى، فقط موجودة تملأ ذلك الجزء الذي احتلته في حياته، والذي يستحيل أن تملأه أخرى غيرها. لا يريد أكثر من أن يتأملها طيلة الوقت: حين تنام ليلا، تتقلب على السرير؟ عندما تحلم مثلاً؟ تنهنه بتقطع كما تفعل إذا ما انهمكت في شيء يشغل كل تركيزها؟ ما الذي ستكون عليه حين تصبح أربعينية؟ ثم حين ينحني ظهرها، ويشيب شعرها؟ هل ستتكئ على عصا كتلك التي أخبرته يوما أن جدتها "لوزة" تتكئ عليها؟!

أنهت رقصها منهكة واتجهت نحوه الترابيزة عائدة، وبجانبها "أمجد" الذي لف ذراعه حول خصرها، ثم بحركة سريعة، ناعمة نزل بكفه إلى مؤخرتها، فانتفضت وتوقفت حيث هي، تبادلت معه كلمات بصورة عنيفة، لم يستطع "عمرو" على بعد مكانه سماعها، وبدا وكأن"أمجد" يعتذر. اندفع الدم في دماغ "عمرو" وحين هم بالوقوف ليتوجه لهما، تراجع حينما راءاهما يواصلان السير عائدين إليه. جلست "أمان" بوجه عابس، و"أمجد" مضطرب كالذي عامل عملة، سألهما "عمرو" عن سبب وجومها، فأخبرته "أمان" أن لا شيء. لمّت أغراضها على عجل في شنطة يدها، ووقفت معلنة أنها تريد أن تروّح فوراً، ثم انصرفت من أمامهما مسرعة دون أن تودعهم حتى، سأل "عمرو" "أمجد" مرة أخرى عن الذي حصل، فقال له أن سيحكي له، وأن عليه أن يتبعها حالاً، ويوصلها للبيت.

***

تذهب "أمان" إلى غرفة "أواب"، تفتح الدولاب، وتزيح الهدوم، وتخرج الأرفف، ثم تسلم نفسها بطمأنينة لسلالم الفجوة الحلزونية. لم تعد تحتاج للكشاف، بعد أن عرفت كل الحقيقة، صار بوسعها أن ترى الأشياء واضحة حتى في الظلام. في الأسفل أجد الرجل الذئب في انتظاري، أجلس معه على الأرض، يتحسس جفناي المتورمين من البكاء. أمدد جواره على الأرض.أتنهد وأضع رأسي على حجره، وأرخي جسدي تماماً، ويملس هو على شعر رأسي بحنان بالغ. يعطيني فجأة نجمة سداسية صغيرة جدا، أتأملها بفضول، وأسأله عنها. يتكلم معي،فأسمع ما يقول .بمنتهى التركيز، أومئ برأسي إيجاباً، وأعلمه بفهمي واستيعابي التام لكل ما قال. نتفق أن المهم في المرحلة القادمة هو إنقاذ صغيري. أنا أعرف جيدا أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيز ما من ذلك السواد العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر ممكن من الألم.

***

خرج "عمرو" مسرعاً من باخرة ماكسيم، وجرى خلف "أمان" التي كانت توشك على أن توقف تاكسياً، حتى تمكن من اللحاق بها،

وجدها تجفف عينيها المحمرة بمنديل، طلب أن يوصلها للبيت فرفضت.زعّق لها محتداً، فبكت واستسلمت له كطفلة وادعة. في السيارة سألها عن الذي حصل، فأجابت بأنه لا شيء. ظلا صامتين لفترة عشر دقائق كاملة، هي بوجه واجم، وهو شارد تماماً. قطع "عمرو" الصمت فجأة قائلاً: "تتجوزيني يا أمان؟". نظرت له بعينين متسعتين على أشدهما، ثم انفجرت في الضحك حتى دمعت عيناها، وأوشكت على الاختناق، فنظر لها وقطب حجابيه، أكد على كلامه قائلاً: "أنا بتكلم جد"، استجمعت أنفاسها ومن بينا ضحكها قالت ساخرة" كلم ماما"، كان قد ركن السيارة في شارع جانبي، مليء بالأشجار الوارفة، ولما سألته بقلق عن سبب توقفه، جذب رأسها من شعرها نحوه، وباس شفتيها بعنف، تشنجت ، وأطبقت شفتيها على بعض بقوة، ثم حاولت أن تدفعه، فلما لم تستطع، صفعته. لم ينته، فغرزت أظافرها بوحشية في خده الأيسر، فابتعد عنها متأوهاً، وتحسس بغضب الدماء على وجها، كانت تنظر لها بتمرد، وخوف في نفس الوقت. سحب منديل من فوق تابلوه السيارة، ومسح عنه الدم، ثم استدار فجأة وبسرعة بكامل جسمه ليواجها، كتف ذراعيها بيده، بحيث يشل حركتها تماماً، في أثناء ما كان يبوسها من جديد، أخذت تزوم، وتحافظ على شفتيها مطبقتين، وانتشى حين فرجت شفيتها أخيرا، فخلى ذراعيها، اللذان لفتهما حوله بتردد، ثم استغرقت معه في البوسة. لا يدري كم من الوقت استغرق، فقط حين انتهى، نظر لعينيها

برغبة، ثم لعق شفتيها وقال: "هكلمك بكرة تكوني كلمتي ماما، ورتبتوا هاجي لكم البيت إمتى".

***

مرت العشر أيام وجاء ميعاد زيارة الدكتور مرة أخرى." عمرو" في سيارته، مع "أمان" التي تبدو بائسة جدا، وجهها شاحب مصفر، وأسفل عينيها حفرتان سوداوان عميقتان. لم يعد يجمعها طيلة الوقت شيء، سوا صمت يؤلم "عمرو" كثيرا. أحاول قدر استطاعتي تجاهل وجودها الثقيل جواري .تلتفت إلي برأسها، لتقول: "ما بقيناش نضحك مع بعض زي زمان ياعمرو" أواصل القيادة دون أن أنظر لها، متجاهلاً سماعي لجملتها. أسمعها تتنحنح، فتصعب علي، وأنظر إليها لأجدها تحبس الدموع في عينيها، وتقلب شفتيها، اللتان ترجفان وتستطرد قائلة:" ليه يا عمرو". هنا يفقد "عمرو" تماسكه كلياَ، ويبكي أمامها للمرة الأولى وجها لوجه، وكلما حاول السيطرة على نفسه، يشتد نحيبه، تربت عليه بوجه شارد، ثم تضمه إلى صدرها. يشم رائحتها على القرب، فيعاوده النحيب أكثر فيما يشبه الصراخ. يقبض على فستانها بأسنانه، ويتمرغ في حضنها، ثم يرفع رأسه، ويطلب منها من بين دموعه أن لا تسيبه أبدا. يعود ليشغل العربية، ويواصل القيادة، ويسعى إلى أن يستجمع نفسه قبل أن يصل

للعيادة. يركن السيارة في شارع جانبي يبعد عن العيادة بثلاث شوارع، يكون قد هدأ تماما، وتوقف عن البكاء، لكن عينه لا تزال شديدة الاحمرار. يترلان معاً، ويسيران، تتأبط "أمان" ذراعه، وتطأطئ رأسها في الأرض، يتجهان ببط إلى العيادة.

في العيادة يدخل "عمرو" مع "أمان" حين ينادي التمرجي على اسمها. يجلسان على الكرسيين المقابلين لمكتب الدكتور، بينما يضع التمرجي بآلية الملف الخاص بـــ "أمان" على المكتب، أمام الدكتور، وينصرف مغلقاً الباب ورائه. يفتح الدكتور الملف، ويتفحصه بسرعة. يلاحظ "عمرو" أن "أمان" تسترق النظر إلى الملف، وتحاول أن تتابع المكتوب- رغم بعد المسافة، وكون الورق مقلوباً بالنسبة لها- بمنتهى التركيز. أضحك بصوت عال حين أجد أن كل ما كتبه الدكتور في الملف الخاص بي، ليس بالعربية أو الإنجليزية حتى، أواصل التلصص حتى تتأكد لي الحقيقة، الدكتور يكتب بالعبرية. ثم ينظر إلى "عمرو"، ويغمز له باسماً، يتحدث معه بتلك اللغة الواضحة المقاطع، والتي لا أفهما، يهز "عمرو" رأسه في تفهم ويبتسم استجابة له. أه يا ولاود الكلب. يقف الدكتور ويحدث "أمان" باللغة الغامضة مشيراً إلى سرير الكشف، خلف البارفان ذي النقوش الصينية، تقف وتمشي أمامه على مهل متجهة إلى السرير، ستتوقف فجأة وتلفت إلى "عمرو" الذي سيفاجئ باحمرار عينها، وهرين من الدموع على خديها، يندفعان بغزارة، ستقول له بصوت واهن يائس

"انت هتسيبني معاه كده؟". تتسع عينيا الدكتور في دهشة، وينظر إلى زوجها في عدم فهم قائلاً: "هو في حاجة يا مدام؟". أتجه إليها والحرج يقتلني، أربت على كتفها في رفق مطمئناً لها، أخبرها أني سأنتظرها هنا على الكرسي ولن أتحرك، وأن الدكتور سيكشف على "أوابّ" ليطمئننا عليه. تنظر له نظرة فزعة لائمة، وتتجه منساقة كالذبيحة أمام الدكتور. تستلقي على السرير، يكشف الدكتور على بطنها بالسونار. يسمع "عمرو" من مكانه صوت نحيبها، وكلمات الدكتور محاولاً تهدئتها، وطمأنتها بأنها لن تشعر بأي ألم. الدكتور يعتقد أن بكائها خوفاً من ألم محتمل. يعض "عمرو" على شفتيه في ألم، محاولاً حبس دموعه.يخرج الدكتور من وراء البرافان ويفتح شاشة السونار ويطلب من "عمرو" أن يشاهد وليده الآن، يعود الدكتور خلف البرافان، ويحرك المؤشر على بطن أمان. يرى "عمرو" الطفل بوضوح، يرى الرأس، والأطراف، بل وعضوه الذكري أيضاً، يبتسم مبتهجاً رغماً عنه، حين يلاحظ حركته البطيئة المتشنجة. يخرج الدكتور ويزيح البرفان قليلاً، ثم يتجه إلى الشاشة ويحركها حول محورها ناحية "أمان" قائلاً: "ابنك عال يا مدام، نمسك الخشب يعني". لن تفهم "أمان" ماسيقوله الدكتور، ولكنها ستنظر بانبهار إلى الشاشة، ستلاحظ أن لابنها أذنان طويلتان على غير المعتاد، ستلاحظ أن أظافر يده ورجله، تستطيل وتبدو كمخالب، ثم أخيرا تلك النجمة الخماسية البيضاء على شمال الشاشة. ستصرخ في رعب، فيفزع الدكتور، ويتجه "عمرو" مسرعاً إليها. يحاول الاثنان تهدئتها، مستفسران عن سبب

خوفها، لكنها لن تجيب، فقط تصطك أسنانها، ويرتجف جسدها. سيسرع الدكتور ليطلب من التمرجي كأس ماء بسكر، بعد أن يلاحظ تعرقها، واصفرار وجهها. تشرب الماء، وتهدأ قليلاً. يطلب الدكتور من "عمرو" الخروج من وراء البرافان والعودة لكرسيه حتى يكمل كشفه، يهم "عمرو" بالاستجابة، إلا أن "أمان" تقبض على يده بعنف، وتترجاه أن لا يتركها مع الشيطان لوحدها، يقول "عمرو" مطمئناً لها أنه لا شيطان هنا، وأنه لن يجلس، بل سيقف خلف البارفان جوارها. ينصرف مسرعاً، دون أن يترك لها فرصة للرد أو للمزيد من الاستجداء. يسمعها تتأوه، وتبكي تألماً. يجز على شفتيه من جديد. يخرج الدكتور بعد أن يطلب منها أن تعدل ثيابها. يقول لـ "عمرو" هامساً" واضح إن اللي قلت عليه المرة اللي فاتت تطور جدا، لازم دكتور، وفي أسرع وقت"، يقطع كلامه، ويشير إلى شفتي "عمرو" ويخبره أنه يترف. يتحسس عمرو الدماء على شفته السفلى ويبحث في جيبه عن منديل. تخرج "أمان" صامتة، يسيل مخاطها على أنفها. أتجه إلى "عمرو" وأنظر بمرارة إلى الدماء على شفته والتي يحاول مسحها، أبتسم له وأقول" خلاص يا عمرو، ماعدش ينفع، ولا بالدم حتى". يربت عمرو عليّ، يعدل من ثيابي المنكمشة، ثم يمسح المخاط، وآثار الدموع عن وجهي، أخبره أن كل هذا لن يجدي، عليه حتى أن لا يحاول. خلاص. كل شيء خلاص .أنا أعرف جيدا أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيز ما من ذلك السواد

العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر ممكن من الألم. يجلسان على الكرسيين المقابلين لمكتب الدكتور. يحث الدكتور "أمان" على المواظبة على المشي، بينما يطلب من "عمرو" مجامعتها أكثر في الأيام القليلة المتبقية، حتى تكون الولادة أسهل، ينظر "عمرو" إليها، فيجدها شاردة، لا تعي كلمة مما يقول الدكتور. تنتهي الجلسة ويهمان بالانصراف.

***

التقى "عمرو" بأم "أمان" وأختها "إيمان" أخيرا. في زيارة لبيتهم كي يطلب يدها. لم يندمج مع أمها التي كانت عصبية متزمتة، عالية الصوت دائما، حتى لو كان كلامها همسا. كان لا يفهم أن تكون هذه المخمّرة المتعصبة أما لـــ "أمان" المشرقة، والمقبلة على الحياة دائما بدون أي تكلف. "إيمان" كانت نسخة مصغرة من "أمان"، نفس طريقة الكلام، والتهريج، وحتى الضحك. تمت الاتفاقات، وجرت إعدادات الزواج بيسر وسهولة، كانت الكلمة الأولى والأخيرة لـــ "أمان"، على غير ما توقع "عمرو" مع أم متسلطة كهذه، وكانت "أمان" تريده بصدق، مما جعل كل عقد أمها سهلة يمكن اجتيازها. تم الإعداد للفرح سريعا أيضا، وبلا خطوبة. فقط ذلك الوقت الذي استهلكه "عمرو" في تجديد، وتجهيز شقة

أبيه بالزمالك. كل شيء كان كحلم جميل، كل شيء بدا وكأنه مكتوب مسبقا، لا شيء عكر من صفاء الأجواء تلك إلا التغير المفاجئ لـــ"أمجد" الذي أصبح مدمنا للشرب. عرف "عمرو" أيضا بعدها بالمصادفة أن أخاه يضرب كوكايين. "عمرو" يعرف ما يكنه "أمجد" لأمان. لكن "أمان" هي التي اختارت. لو كانت اختارت "أمجد" كان "عمرو" سيحترم ذلك، ويبتعد عن الصورة، وإن كان سيتألم. تحدث "عمرو مع "أمجد" – الذي كان سكرانا– ليلة الفرح. هذى "أمجد" بكثير من الكلام، عن القسمة والنصيب، وأنه لا يريد سوى أن يراهما مبسوطين. لكنه أكد لـــ"عمرو" بصورة تهديديه أنه سيقتله فورا لو رأى "أمان" تعيسة يوما بسببه.

***

يستيقظ "عمرو" فزعا في الليل، على أنين "أمان" جواره على السرير. يجدها تجلس القرفصاء، عاجزة عن ضم ركبتيها إلى صدرها بسبب بطنها المنتفخة، تفرج ما بين رجليها، وتتكئ بيدها، على ركبتيها، مسقطة رأسها في اتجاه بطنها وتأن. حين يعتدل جالسا على السرير، تقبض على كتفه بيد مرتجفة، وعين زائغة، وتخبره أنها خائفة جدا، يحضنها، ويسألها عن السبب. أخبره أني أعرف أشياء كثيرة لا يعرفها هو، يسألني مرتابا عن ماهيتها؛ فأتحدث كثيرا. سيحمر وجهه ويشعر أنه عاجز

عن أخذ نفسه، حين أخبره عن معرفتي بخيانته لي، وحين يهم بالإنكار، سأواصل كلامي كأني لم أسمعه، وسأخبره، أن الطفل في بطني ليس ابنه. أنا أعرف جيدا أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزًا ما من ذلك السواد العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر ممكن من الألم. ستحدثه عن سليل إبليس الذي تمثل لها في صورة إنسان لا تذكر ملامحه، اعتدى عليها مرات عدة غصبا، واستسلمت له مسلوبة الإرادة. ستخبره أنها مستعدة أن تسامحه، على خيانتها، وأن تعيش له خادمة تحت رجليه طيلة عمرها، في مقابل أن يحمي لها ابنها، الذي سيطارده الشيوخ، والقساوسة، والحاخامات سعيا لإحراقه، تتنهد كثيرا أثناء حكيها، تتنهد بين كل كلمة وكلمة في الواقع. تنهي كلامها باستجداء واهن قائلة: "هتخلي بالك من ابني يا عمرو؟ مش كده؟ هتخلي بالك صح؟".. يومئ برأسه إيجابا؛ فتتنهد، وتستلقي على السرير، ثم تستغرق بسرعة فائقة في النوم. يتأملها في نومها، لا يعرف ما عليه أن يفعل. يقوم من على السرير فجأة، ويرتدي ملابسه ثم يغادر الشقة في الثالثة فجرا، لا يلوي على أي شيء أو مكان.

***

كانت "أمان" تعلم أن موافقتها على الزواج من "عمرو" هو الجنون بعينه. لكن ما وجه العقل في كل حياتها على أية حال. تفكر في أنه ربما كل ذلك قدر، خارج عن يدها، أو اختيارها. حاولت الهروب قدر استطاعتها، لكنها لم تفلح في النهاية. ربما الله يعلم ألا أحد يمكنه التعامل على خير وجه مع من هو مثل "عمرو" غيرها. هي اللي تعودت على التعامل مع الكثير ممن هم مثله. لو رفضته لأجل ظروفه، فمن حق الناس أن ترفض إذن أختها! ثم إنه طظ في أي حاجة، طالما أنها سعيدة هكذا، لم تسعد مثل هذه سعادة في كل حياتها. أيا كان ما سيأتي به الغد لا يهم، وعلى أسوء الظروف، إن لم تحتمل في يوم أكثر، ستحمل لقب مطلقة. ساءها حال "أمجد" المتدهور، بعد أن تقدم "عمرو" للزواج منها. الحيوان سيهدم بغبائه ذلك الشيء الإنساني الجميل الذي جمع بينهما كل تلك السنين. ثم إنه بكس أمه لم يصارحها يوما بحبه، هل عليها أن تنجم مثلاً؟ أم أن الكحكة في يد "عمرو" الغلبان عجبة؟ كل ما فيه الآن، نوع من الأنانية السخيفة، التي ستأخذ وقتها وتروح لحالها. فقط لو يتوقف عن النظر إليها بهذه الصورة التراجيدية العاهرة، كلما رآها مع أخيه. ما لم تفكر فيه "أمان" متعمدة، وسعت بكل وسعها أن تمسحه مسحا عن بالها: ماذا لو أن "أمجد" سبق "عمرو" في طلب الاقتران بها؟

***

بعد أن ظل "عمرو" في الشوارع هائما لأكثر من ساعة بلا وجهة، قرر الذهاب إلى أخيه "أمجد". رن جرس بابه في الرابعة فجرا، رنا متواصلاً. فتح "أمجد" الباب مذعورا، بجذع عاري. أدخل أخاه الموشك على الانهيار. حين فتح "أمجد" الباب، كان "عمرو" غارقا في عرق غزير، لا تحمله رجليه، سنده أخاه، وأجلسه على الصوفا في الليفينج، وأسرع إلى المطبخ ليحضر له عصيرا. رأى "عمرو" على طرف الصوفا منديل بنفسجي بقويه، يخص "أمان"، التي تحب أن تقتني هذه الأشياء العجيبة. ظل ينظر للمنديل غير مصدق، إلى أن جاءه "أمجد" بكوب العصير. شرب "عمرو" العصير دفعة واحدة، ثم قام متحاملاً، واتجه إلى طرف الصوفا، وسحب المنديل، وأشار به في وجه "أمجد"، دون أي كلمة، ارتبك "أمجد" وسأله: "إيه؟"، ابتسم "عمرو" بمرارة، فبادره "أمجد" قائلاً: "ده بتاع نادين". لا يدري "عمرو" من أين جاء بهذه القوة، وجسده واهن هكذا. لكم أمجد بعنف في وجه، انحنى أمجد، ممسكا أنفه الذي كان يترف، وحين هم بالقيام، عالجه "عمرو" بلكمة أخرى، أعنف، ثم تركه مرميا على الأرض، وغادر الشقة.

***

يوم الفرح كان كل شيء مثاليا، وعلى الرغم من ذلك فإن الهرج والمرج كانا يسودان القاعة، وأصوات الحضور تعلو بالحوقلة. "أمان" التي

ارتدت فستان زفافها الأوف وايت، تصرخ فوق سطح الباخرة النيلية، وتضرب الأرض بيدها، ثم تمزق صدر فستانها، تتجاذبها أيادي الناس في محاولة لتهدئتها وسترها، تحمل نظراتهم التعجب من شدة ردة فعلها. بينما "عمرو" يغادر القاعة جريا إلى المستشفى، حيث أمجد الذي أصيب في حادثة بسيارته.

سترفض "أمان" أن يلمسها "عمرو" لمدة شهرين تقريبا بعد الحادثة. ستقضي أغلب الوقت في بيت أمها. أما "عمرو" فسيحجم عن محاولاته معها سريعا، ستعف نفسه عنها مهابة. لا يعرف كيف أو متى بدأ يتعامل معها بكل هذه القدسية. تتخانق "أمان" يوما مع أمها؛ فتطردها أمها قائلة أنها لها بيت، وأنها لم تزوّجها كي تجلس هكذا في أرابيزها. ستعود "أمان" مضطرة إلى بيتها. يذوب جليد الحادثة بينهما تدريجيا. سيخرجان معا يوما للعشاء في المعادي، وفي السيارة أثناء العودة، ستشير "أمان" إلى القمر المكتمل في السماء، مصفر اللون، وتخبر "عمرو" أن اصفراره كان يخيفها وهي صغيرة. تضع رأسها على كتفه؛ فتعاوده الرغبة فيها عفية.

***

في العاشرة صباحا، استيقظت "أمان"، حين كان سليل إبليس يلعق حلمة أذنها اليسرى بنهم، استدارت لتواجهه، فهمس لها قائلاً: "عرفت أن الدكتور قال إن النيك هيسهل الولادة". ابتسمت له؛ فقال لها:

وحشتيني".. همست قائلة: "وانت كمان" وغابت معه في فرنشاية عنيفة. كان يبكي وهو يركبها من وراء، وهي من أمامه ترتكز على يديها وركبتيها فوق السرير. يصرخ قائلاً: " أنا الأحق بيكي"، ينتحب ويكررها مرارا.

كانا عاريين على السرير، منهكين، رأسه بين ثديها، مغمض العينين، تتحسس هي شعره، حين لاحظت أن الساعة قاربت على الثانية عشرة، نهضت مفزوعة وأخبرته، أن أمها ستأتي بعد الظهر، لتقضي معها الكام يوم الباقيين قبل الولادة، وأنها لن تستطيع أن تراه بعد اليوم.

***

الاتفاق على عدم الخلفة كان غير معلن، وإن كان مفروغ منه. يعرف "عمرو" خطورة ذلك جيدا على "أمان"، ولا ترغب "أمان" في أن تفقد نفسها، أو أن تهب للعالم طفلاً آخر كـــ"عمرو". إلى أن جاء ذلك اليوم الذي تعبت فيه "أمان"، بنزلة شعبية حادة لازمت فيها السرير، وكان "عمرو" على وشك أن يفقدها. يذكر حين كان يعمل لها الكمادات بالثلج ويده ترتجف، وهي نصف فاقدة للوعي وتخطرف، درجة حرارتها لا تنزل عن الأربعين، شعر في لحظة أنه من الممكن أن يفقدها الآن، هكذا بمنتهى البساطة وللأبد، وبكى حين فكر أنه لن يجد تفاصيلها - التي تعلقه بها يوما بعد يوم- مع أي واحدة بعدها. ازداد خوفه من

فقدها طيلة أيام مرضها حتى تحول إلى هوس، وحين تعافت، كان قد أخذ القرار، وأخبرها أنه يريد أن ينجب منها. رفضت "أمان" بإصرار، وحدثت بينهما خناقة كبيرة، تركت البيت على أثرها، وذهبت لبيت أمها.

***

"عمرو" في السرير مع الأخرى. ترتكز على ركبتيها، وكوعيها، ويركبها "عمرو" بعنف من وراء. الوضع الأمثل لـــ "أمان"، هكذا يفكر "عمرو" مندهشا. يشد شعرها، بين الحين والآخر، تتأوه في غنج قائلة: "بالراحة..أه.. ينعل دين أمك أصلاً". ينتهيان، فيرتمي "عمرو" منهكا على ظهره، يتحسس الخرابيش في رقبته. يشعل سيجارة، بينما تضع هي رأسها على صدره، وتملس بيدها على الشعر فيه. بعد دقائق من الصمت، يخبرها أن "أمان" تشك الآن في أمرهما، وأنها صارحته بذلك، ترد بأنها بنت مجانين، ولا أحد يأخذ على كلامها أصلاً. يشعر بالضيق من سخريتها من "أمان" ويقول بحدة أن عليهما أن يبتعدا لفترة. تهب جالسة، وتشعل سيجارة، ينتظرها أن تقول شيئا، لكنها تظل صامتة حتى تنهي سيجارتها، تعطيها إياه ليطفئها في الطفاية جواره، وتنهض، ترتدي ملابسها، وتلملم حاجياتها، تخرج من شنطتها زجاجة البرفيوم، وترش على صدرها ورقبتها،

تضعها في الشنطة مرة أخرى، ثم تخرج الموبايل، تفتح الكافر من الخلف، لتخرج الشريحة، ترميها في وجهه قائلة: "إتز أوفر". تحمل الشنطة وتغادر بخطوات سريعة واثقة. يظل "عمرو" في مكانه، يمسك الشريحة غير مصدق، ولا يحاول أن يستوقفها.

***

تأذت "أمان" كثيرا بسبب رغبة "عمرو" وإصراره على الإنجاب منها. تذاكى "عمرو" بأن استعان بأمها - التي كانت تتلهف لتحمل حفيدًا- كوسيلة للضغط عليها أيضا. وتحت الضغط المستمر منه، والزنّ من جانب أمها، وأختها وافقت على التوقف عن أخذ حبوب منع الحمل التي كانت تأخذها، مسلمة أمرها للقدر، آملة في أن يسبب تعاطيها الدائم لها، عائقا لسرعة الإنجاب، حتى بعد أن تتوقف عن تعاطيها، كما سمعت من ميس "فريدة" مسبقا، حين حكت لها عن مشكلة تأخر إنجاب أختها. ساءت حالة "أمان" النفسية جدا بعد موافقتهم مضطرة على الإنجاب. لاحظ "عمرو" ذلك، فحاول أن يتجنبها أغلب الوقت، وحين يجمع السرير بينهما بعد غياب دام لأكثر من ثلاث أسابيع، ستخبره أنها وافقت على ذلك، لأنها فقط تحبه، وأن ذنبها في رقبته، وأنه وحده المسئول عن تبعات ذلك.

***

يعود "عمرو" إلى البيت في ساعة متأخرة، فيجد حماته جالسة على الكنبة، ترمقه بنظرة متوعدة، يلقي عليها تحية فاترة، ويبحث عن "أمان"؛ فيجدها ترتب ملابس "أواب" في غرفته. أدخل الغرفة، وأغلق الباب برفق خلفي، أجلس على الأرض بجوارها، أنتظر أن تلاحظ وجودي. تلتفت فجأة إلي، ثم تكمل ما تعمل وكأنها لا تراني. أنتظر أن تكلمني عن أي شيء، أن تسألني عن سبب تأخيري، فلا تفعل، هي منهمكة تماما فيما تفعل. أتأملها صامتا، ثم أسألها إن كانت تعرف هذه هي المرة الكام التي توضب فيها دولاب "أواب"؛ فتجيبني بآلية واثقة أنها المرة الأولى طبعا، أدفع رأسي للخلف، وأضحك ضحكة، تنتهي بدموع في عيني، أمسحها سريعا. تتأملني مندهشة، وتسأل: "انت كويس". تناديه حماته لتناول العشاء. يخرج إليها ويخبرها، أن نفسه مسدودة، تتكلم بغيظ من تحت ضرسها وتقول: "قول إنك مش عايز تاكل من إيدي، ولا تلاقيك اتعشيت بره!". يبتسم ويقول: "إزاي بس"، ويجلس، على السفرة. تخرج "أمان" بوجه بشوش من غرفة طفلها، وتقول إنها ستعد له كوب شاي بعد العشاء، يخبرها أن ياريت، ويستغرب سلوكها الودود المفاجئ. يرشف آخر رشفة من كوب الشاي، وهو ممدد على الكنبة أمام التليفزيون، يقاوم نوبة نعاس عنيفة تغشته فجأة، يحاول أن يقوم من على الكنبة، ويذهب لسريره، فيتهاوى غير قادر، يتذكر ود "أمان" المفاجئ حين أصرت أن تعمل له كوب الشاي بنفسها، وينجرف إلى بئر أسود عميق، يترك له نفسه.

***

بعد تسعة أشهر من زواجها، ستحبل "أمان". ستقاوم الأعراض لفترة طويلة، غير مصدقة، أو غير راغبة في الاعتراف بذلك. إلى أن تتهاوى في يوم فاقدة الوعي تماما، وتفيق في عيادة دكتورة صديقة عرفها عليها "أمجد" سابقا. تبارك لها على حملها الأول، و"عمرو" يقف مجاورا لها، ترقص الفرحة في عينيه. ستستمر "أمان" في إنكار حملها، وتبحث عن دكتور نسا آخر. ثم تذهب إلى دكتور في سفير، أشارت به عليها جارتها العجوز الوحيدة، وتستمر في المتابعة معه. ستحاول أن تجهض نفسها مرتين، وستفشل في كليهما: مرة تترك نفسها لدرجات سلم عمارة أمها، وتدعي أنها تعثرت. والمرة الأخرى، حين تعمدت حمل أثقال وكراتين، بحجة توضيب الشقة، وإخراج الملابس الشتوية، تعرضت بعدها لتريف، ربط بعده الدكتور رحمها، وتمكن للمرة الثانية من إنقاذ الجنين.

***

"عمرو" يتأهب للذهاب لعمله، بعد أن أعدت له حماته الإفطار. استوقفته حماته قبل نزوله، وتحدثت معه بود صادق، أخبرته، أن حاله لا يعجبها، واستغربت من ذقنه التي أطلقها بإهمال. أخبرته أنها تقدر قلقه على "أمان"، وأن كل شيء قريبا سيكون تمام، وأنها هانت جدا، كلها يومين، أو ثلاثة بالكثير، ويشرّف ولي عهده، و"أمان" تعود لسابق

عهدها، بل وأحسن. أعطته ليسته بالطلبات التي يحتاجها البيت، وأخبرته أن "إيمان" ستأتي الليلة، لتساعدها في رعاية "أمان" اليومين الجايين. يحاول أن يرد عليها بلطف وترحيب، يأخذ منها الليسته قائلاً: "من عينيا"، يودعها وينصرف.

***

في الشهر الخامس بعد حمل "أمان"، سيعود "عمرو" من سفرية عمل إلى أوربا، ليجد "أمان" وحدها، مغميا عليها في غرفتهما، ووجهها مصفر جدا كليمونة. يأخذها فورا للمستشفى. يعرف حين تفيق أنها كانت مضربة تماما عن الطعام، لأنها لم تواتيها القدرة على قتل جنينها بعد أن أتم الخمسة أشهر، فقررت أن يموتا معا. سيخبرها "عمرو" مطمئنا، أن كل ما في رأسها مجرد مخاوف، لا أساس لها في الواقع، وأن الموضوع أبسط كثير مما تحسبه، يتوسل إليها إن كانت فعلاً تحبه أن تحافظ على نفسها والصغير في بطنها، وستعده بأن تحاول الصبر، لأنها لاتزال رغم كل ما فعله بها تحبه.

***

في الليل يجلس"عمرو" في البلكونة مع "إيمان"، التي تحاول أن تخفف عنه، وتطمئنه، تسأله عن "أمجد"؛ فيخبرها أنه سافر إلى إسبانيا، دون حتى أن يخبره. تستعجب وتقول إنها توقعت أن يكون أول الحاضرين للحدث المنتظر، يسألها "عمرو" بعصبية: "ليه؟"، تندهش من عصبيته، وتجيب لأنه أقرب أصدقائها، تزداد عصبية "عمرو" ويتابع كلامه: "يعني إيه أقرب أصحابها؟؟ يعني إيه؟؟". تتوتر حين لا تفهم عصبيته غير المبررة، وتهم بأن تجيبه، فيأتي صراخ أمها عاليا من غرفة "أمان"، يهب كلاهما فزعين، ويتجهان للغرفة مسرعين.

"أمان" التي عرفت كل الحقائق، ستعرف أنها ستموت اليوم فجرا. ستمزق ملابسها كلها بيدها وأسنانها، حتى تكون عارية كالحجاج. إذا كان لابد من الموت، فلتمت شهيدة إذن. فلتمت أثناء حجها. كانت تسألهم بإلحاح عن الوقت، وكلما قاربت الساعة على الرابعة فجرا، ازداد يقينها باقتراب ساعة الخلاص. قررت أن تتوضأ حتى تموت على طهارة، دخلت الحمام، وأغلقت عليها الباب بالمفتاح. تسمع صوت أمها يأتيها هامسا من الخارج، أمها تقول: "إوعي تقيدي النور يا حبيبتي. عيب يا "أمان"". تتوضأ في الظلام، ثم تنزع عنها الباقي من ملابسها الممزقة، حتى تصبح عارية تماما، تتكور في البانيو محاولة النوم في وضع الجنين. البانيو يغوص بها إلى أسفل، وأسفل. تعي أنها في لحظة ولادة، ولكنها هي من ستولد، ستولد من جديد، وستكون توأما متلاصقا.

تخبط "إيمان" بجنون على باب الحمام من الخارج، وأمها تصرخ في هيستيرية حاثة "عمرو" على كسر الباب، خشية أن تكون "أمان" عملت حاجة في نفسها. يكسر "عمرو" الباب، ليجد الحمام مظلما، يستبين بصعوبة "أمان" في البانيو عارية، بجسد متشنج، يندفع هو و"إيمان" إليها، يتعاونان في حملها من ذراعها لإخراجها من البانيو، وتكون أمها أحضرت لها جلابية واسعة لتسترها بها.. يرفعها "عمرو" بثقلها في وضع الوقوف، وتتعاون "إيمان" وأمها في إلباسها الجلابية. ثم يخرجها ثلاثتهم من الحمام.

"أمان" ستحاول التخلص، من قبضتهم التي يشلون بها حركتها، ستتوسل إليهم كي يتركوها تصلي الفجر، الذي لم يؤذن بعد. وقفت مستقبلة القبلة، وشرعت في الصلاة، هي الآن الطاهرة المختارة، لها روح نقية، روح نبي، أو ناسك يتعبد. هي الآن تؤم جمعا غفيرا، يصطف ليصلي خلفها، تسمع أصوات تكبيراتهم تتعالى خلف تكبيراتها. كانت تبكي بحرقة أثناء ما كانت تتلو التشهد الأصغر، تعرف أنه في اللحظة التي ستنطق فيها بالشهادة ستلفظ روحها، وستكون تلك صلاتها الأخيرة، لتدخل الجنة بعدها، وتعيش فيها خالدة. تلفظت بالشهادة، وقامت لتواصل صلاتها التي لا تعرف كم ركعة صلت منها حتى الآن. أطالت في سجدة، على أمل أنه إذا ما كان الله لم يقبض روحها أثناء ما تلفظت بالشهادة، فله أن يقبضها منها الآن أثناء سجودها.

"عمرو" يدخن سيجارة، بيد مرتجفة في البلكونة. و"إيمان" تجلس على الأرض جوارها لتراقبها أثناء الصلاة بكل روحها، وأمها تولول رائحة جاية في الرسبشن، لا تتوقف عن قول: "يارب..سترك يا رب". ستلاحظ "إيمان" بذعر أن "أمان" أطالت جدا في سجدتها هذه، جسدها ثابت على وضعية السجود، دون حتى أن تتنفس، برعب - من هاجس أن تكون ماتت- مدت يدها مرتجفة إلى كتفها، وأخذت تصرخ منادية باسمها.

أفاقت "أمان" على صوت يناديها من بعيد؛ فقامت من سجودها، والدموع لا تنقطع من عينها. أتمت صلاتها، وسلمت؛ فسمعت صوت الجمع الغفير يسلم خلفها. اندفعوا نحوها ليقبلوا يدها، وكانوا ينعتوها بستّنا. شعرت بجسدها يرتفع عن الأرض، فعرفت أنهم يحملونها، وأنها الآن ميتة. رجحت أنهم سيذهبون بجسدي الآن إلى مسجد النور في العباسية ليقيموا الصلاة على روحي. في الشارع، اندهشت جدا حين وجدت أن السيارة تشق طريقها في شوارع مدينة الرياض، وليس القاهرة. ابتسمت برضا وعرفت أنهم يتجهون بي إلى مثواي الأخير مباشرة، حيث سيرقد جثماني بجوار جثمان بابا في مقبرة العود بالرياض. وددت لو أشكرهم، لكني الآن ميتة. أنا أعرف جيدا أننا مجرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزا ما من ذلك السواد العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخواء، سنشعر بأقل قدر من

الألم. توقفت السيارة أمام مبنى فخم رخامي. خمنت أنه مقبرة لأحد ملوك آل سعود. يحملونها الآن خارجا، ويضعونها على كرسي متحرك. تدخل المبني، فتجد تابوتا يتوسط قاعة واسعة، تفلت منهم، وتجري إليه، وتتمدد في داخله. تغمض عينيها، تود أن تشكرهم مرة ثانية، فتتذكر أنها ميتة.

***

لاحظ "عمرو" بعد حادثة الإضراب عن الطعام، أن "أمان" عادت من جديد لتهتم بصحتها وغذائها، لكنه لاحظ بقلق أكبر ميلها التام للعزلة، وشرودها الذي لا ينقطع، ثم قلة نومها. أحيانا كان يهيأ له أنها تكلم نفسها. لكن الأسوأ كان في أجازة الصيف الماضية في الإسكندرية، حين أخذته لتعرفه على الجيران في الشاليه المجاور لهم، والذي كان خاليا. توالت هلاوسها بعد ذلك، لكنه تجاهلها، وعزا ذلك إلى إرهاق ذهنها بالفكر، وقلة نومها.

***

تفتح "أمان" عينيها ببطء، إثر ألم شديد في أسفل بطنها. تبذل جهدا للتعرف على مكانها، هي على سريرها الآن، وأمها جالسة على

الكنبة المقابلة لها، على حجرها رضيع تداعبه. تحاول "أمان" النهوض، تضع يدها على موضع الألم، وتستند على الكومودينو جوارها. تحمل أمها الرضيع على كتفها وتهرول نحوها، طالبة منها أن لا تتحرك بعنف حتى لا يفك الخيط، تناولها الرضيع، تأخذ "أمان" الطفل على مهل، وتضمه إلى صدرها باسمة، تنظر لأمها نظرة متسائلة؛ فترد الأم عليها بوجه بشوش: "أيوه، "أواب" ابنك..بسم الله ما شاء الله، فلقة قمر". تضمه "أمان" في حنو وتتسع ابتسامتها، ثم تسأل أمها في وهن عن الذي حصل؛ فتخبرها أنها ولدت قيصريا البارحة. تقول: "حمد الله على سلامتك"، ترد "أمان" بوهن: "الله يسلمك". تتعجب "أمان" من كونها ولدت سيزريان، وتقول إنها لا تذكر شيئا، تنظر للطفل، وتشرد، في الوقت الذي تداعبه فيه أمها، وتقول إنه صورة طبق الأصل من جدها، تنصحها بأن تحاول أن ترضعه الآن، حتى لا ينشف اللبن في بزها.

في البلكونة يجلس "عمرو" مع "إيمان" ويتعجب من سلوكها الهستيري. تبكي وتخبره أن الوضع يسوء، وأنه لابد من تدخل دكتور. أرشف الشاي على مهل، وأسالها بهدوء وثقة، إن كان في حاجة بينها وبين "أمجد" هي الأخرى؟ تصرخ في هستيريا أعرفها جيدا، لكي تغلوش على الموضوع، تقول من بين دموعها إن "أمجد" مات يوم زواجي، وأنه لا يوجد "أمجد"، وأضحك وألعن اليوم الذي وقعت فيه مع هذه العائلة بنت المجانين، أنا فعلاً لا أجد أحدا عاقلا لأتكلم معه، حتى أمهما أس البلاء،

هاربة منها تماما. تستعطفني بأسلوبها الرخيص – نسخة مطابقة تماما لأختها- تقول إني لم أحمل طفلي ولا مرة واحدة منذ ولادته، أحافظ على ابتسامتي صامتا، فتقول إني حتى لم أنظر إليه. أحاول أن أحافظ على برود أعصابي، وأرد بأن على أبيه الحقيقي أن يعمل ذلك، وأخبرها أن أسلوب الابتزاز العاطفي هذا لن ينفع معي. تلطم وتشد في شعرها، وتكتم صراخها بيديها. أقول في نفسي: "آه يا عيلة وسخة بنت كلب". تغادر البلكونة وتبحث عن شيء على كراسي الصالون، تجد الموبايل؛ فتأخذه وتختفي. أتوقف عن مراقبتها، وأتابع رشف الشاي، والفرجة على الخلق أسفل البلكونة.

"إيمان" على باب غرفة "أمان"، تصرخ "أمان" حين تراها، وتحتضن طفلها بقوة، متعجبة من وجودها في بيتها، وتطلب منها ألا تعتّب خطوة واحدة داخل الغرفة. تصرخ: "اطلعي بره..بره.. اطلعي اطلعي اطلعي اطلعي". تجري الأم على "أمان" محاولة تهدئتها، تبكي "أمان" وترتجف وتطلب من أمها أن تطرد تلك الملعونة فورا، تتوسل إليها من بين الدموع، فتعدها أمها أن تفعل، فقط عليها أن تهدأ، وتواصل إرضاع "أواب". تهدأ "أمان" قليلاً، فتسارع الأم بالخروج من الغرفة. تجد خلف الباب حين تفتحه، "إيمان" جالسة على الأرض تلطم، وتئن بصوت خفيض.

تدخل الأم بعد دقائق غرفة "أمان" من جديد، عيناها بلون الدم، وأنفها محمر، تشن باستمرار، تقف لتستجمع نفسها لثوان، ثم تخبر "أمان"

أنها ستعد لها كوب مغات، ثم تنزل. تسألها "أمان" مالها، فتخبرها أنها تخانقت مع "إيمان" لأجلها، وأنها طردتها كما تريد. أسألها لماذا ستنزل إذن، فترد بأنها لن تترك "إيمان" لتنزل وحدها في ساعة مثل هذه، ستذهب لتوصلها ثم تعود مرة أخرى. تقول إنها لن تتأخر، فقط مسافة السكة، وبأنها ستغير الحفاضة لـ"أواب" الآن قبل أن تنزل. أنا علي فقط أن أرضعه مرة أخرى، وأعطيه من زجاجة ماء غريب على الكومودينو جواري، إذا جاءته التقلصات. أؤمن على كلامها، وقبل أن تمشي أقول لها أن تستنى، أرفع القميص، والفانلة الداخلية لأكشف بطن "أواب"، أشير إلى وشم النجمة الخماسية على جانبه الأيسر، وأسألها عن الذي تراه أسفل إصبعي، فتقول إنها مجرد وحمة. أضحك بشدة، لا فائدة فيهم أبدا، أقول: "وحمة يا ماما؟؟ اتقي الله"، تبدأ في بكائها غير المفهوم، فأخبرها ألا شيء سيختبئ بعد اليوم، وأقول ساخرة: "امشي يا ماما"، تنهنه وتخرج من الغرفة بخطوات واهنة.

سينام الصغير أثناء رضاعته، فتضعه "أمان" برفق على سريره. تسمع ضجة شديدة بالخارج، أصوات لأناس لا تعرفهم. تميز بصعوبة صراخ "عمرو" المتواصل قائلاً: "أنا مش مجنون.أنا مش مجنون، ياولاد الكلب، سيبوني أنا مش مجنون". يعم السكون فجأة، تغفو قليلا ثم تصحو. تتأوه أثناء ما تنهض، تمسك بالجرح أسفل بطنها، وتخرج من الغرفة. في الخارج لا أجد أحدا. لا ماما، ولا "إيمان"، ولا حتى "عمرو".

أنادي على "عمرو" بصوت عال، وأبحث عنه في الغرف. أجده أخيرا على باب الشقة يلبس جزمته، ويستعد للنزول، يندهش حين يراني، ويسـألني لماذا لم ألبس حتى الآن، اسأله مستغربة: "ليه؟"، يتحدث بسرعة وعصبية قائلاً إننا سنروح القناطر ، ونؤجر عجل، أبتهج جـدا، وأقـول لـه أن ينتظرني، فيرد أن بسرعة طيب. أسرع إلى غرفتنا. ألقي نظرة على "أواب" للتأكد من نومه، أبوس شفتيه برقة، وأتعجب في سري قائلة إن الشياطين لا تفرق كثيرا عن الملائكة. أتجه إلى الدولاب. أنا أعرف جيدا أننا مجـرد شخصيات مرسومة في فيلم كارتون. الكادر خاوي، لا يوجد فيه شـيء سوى اللون الأسود. نحن مجرد خطوط بيضاء دقيقة، تحدّ حيزا ما من ذلك السواد العظيم. نعم. هكذا حين نكون مفرّغين، ولا نحوي إلا الخـواء، سنشعر بأقل قدر من الألم. ألبس بنطلون جينز لونه لبني فاتح. أبحث عن شيميزي البني، أبو نصف كم. ألبسه بسرعة، حين أجده أسفل السـرير. "عمرو" يناديني مستعجلاً، ثم يعلن أنه سيسبقني عند الموقف مـع ماما، و"إيمان". أقول له طيب، وأنا أحاول إقفـال أزرار الشـيميز. صـدري متضخم جدا! أقرر أخيرا، حين أيأس، أن أترك الأزرار مفتوحة، ليس مهم جدا أن يخرج صدري للناس أو لا، المهم بحق وحقيقي أن ألحقهم. أبحث عن جزمة مريحة لي في الجزامة، وتتحمل ركوب العجل. أخرج البـوت الأسود، أبو رقبة فوق الركبة، وألبسه. حين أهم بالنزول، أفكر أنه مـن غير اللائق أن أرتدي بوتا كهذا على ملابس صيفية. أعود مسـرعة إلى الجزامة، وأخرج جزمة فلات سوداء، ألبسها وأنزل مسرعة. في الشـارع

أتعجب من ضوء النهار الساطع، والشمس المشرقة في مثل هذه الساعة من الليل. أركض متجهة إلى الموقف أول الشارع الرئيسي. تضايقني الجزمة، أصابعي مثنية في الداخل، أتوقف لأتفحصها، حين أكون قد وصلت للموقف بالفعل. ألاحظ أنها جزمة "إيمان" التي تشبه جزمتي. الزحام شديد حولي، أبحث عن ماما، أو "عمرو" أو "إيمان"، فلا أجد أحدا. أقرر العودة وإبدال الجزمة بجزمتي السوداء المريحة، ثم الركوب لوحدي، واللحاق بهم. أخرج بصعوبة شديدة من الزحام. أسمع صوت ماما تنادي علي من بعيد، وحين ألتفت أجدها خلفي، فجأة قفشت في صدري، تألمت بشدة، وحين هممت بأن أكلمها انتقلت يدها بسرعة وعنف إلى ما بين وركي. استغرقت وقتاً لأستوعب أن ماما تتحرش بي بالفعل. دفعتها بعيدا وجريت، وأنا أقول لها: "انت اتجننتي؟؟ اتجننتي يا ماما؟؟ إمشي معاهم، وأنا هحصلكم". توقفت عن الجري عند أول شارعنا، حين لاحظت في ذهول أن ملابسي تغيرت، لم أكن أرتدي الشميز البني، والبنطلون الجينز اللبني، كما كنت نازلة من البيت. تأملتني فوجدت أني أرتدي فستاناً جميلاً جدا، لونه فوشيا، له ذيل طويل، لم أستطع أن أرى له نهاية، وجزمة مريحة، لها كعب عالي، ولونها بمبي، أحرك أصابعي داخل الجزمة لأتأكد أنها مفرودة، فأجدها آخذة راحتها، ومفرودة بالفعل، أبتهج. أنا أشبه إحدى أميرات أفلام الكارتون. أرفع رأسي فأجد الناس مجتمعة حولي في صفين، يطالعوني بانبهار. أمشي في وسط الصفين على مهل، ونظرات الانبهار تتابعني، وحين أصل إلى عمارتنا، وأدخل البوابة، يصفق لي

الجميع. أصعد، فأجد باب الشقة مفتوحا. أجري إلى البلكونـــة، فأجـــد الناس مجتمعة في الأسفل، مبتهجين، ينظرون ناحيتي، ويرمونني بـــالورود. تدخل إلى غرفتها مسرعة، تذهب إلى سرير "أواب"، تجده نائما، فتبتسم، وتحمله متجهة به إلى البلكونة، على حافة السور تقبلـــه، وترميـــه لأذرع الناس في الأسفل، فيلقفونه، مهللين في سعادة، تخبرهم أن رسالتها انتهت، وأنها ستعود إلى عالمها الحقيقي، وتطلب منهم أن يأخذوا "أواب" ويذهبوا به بعيدا. تدخل بنفسها الراضية المطمئنة، لم تعد تشعر أنها مجـــرد رســـم بخطوط بيضاء تحد الفراغ، فوق كادر أسود خالي. تتجه إلى غرفة "أواب" تفتح الدولاب، وتخرج الرفوف على مهل، والابتسامة لا تغادر وجههـــا. تنزل إلى ظلام الفجوة الذي اعتادته عيناها تماما. تجده هناك كما توقعت. الرجل الذئب يجلس وعلى حجـــره "أواب" يلاعبـــه. "أواب" يبتســـم، فتضحك وتخبره، أنه لم يبتسم لها ولا مرة، فيرد الرجل الذئب بهز رأســـه صامتا في رضا. تجلس عند أسفل قدميه، تحتضن ساقيه، وتريح رأسها على ركبته. تلاحظ ملابس "أواب" تسقط على الأرض جوارها، ترفع رأسها فتجد الرجل الذئب قد خلع ملابس "أواب" بالكامل. يطلب منها أن تخلع ملابسها هي الأخرى، تفعل ذلك على الفور، وحين تنتهي مـــن خلـــع الفستان، تجد الرجل الذئب قد تعرى تماما هو الآخر، تتأمـــل تفاصـــيل جسده التي تحفظها عن ظهر قلب. تلتفت معاودة إكمال تعريها، تتجـــرد من البرا والبانتي المتبقيين. تقف أمامه عارية وتسأله إذا كـــان آن الأوان ليخلع عنه قناعه، فيهز رأسه موافقا، ويرفع عنه القناع ببطء، حين تـــرى

وجهه ستبكي، وتخبره أنها كانت تعرف جيدا أنه هو. ترتمي في حضــنه، فيضمها، و"أواب" برقة، تستحيل شيئا فشيئا إلى عنف. تختنق، ويشــتد بكائها، تعرف أنها ساعة الخلاص الحقيقة، تتأكد من أن يــدها تطــوق "أواب" تغلق عينيها، وتستسلم للألم.

قصة جديدة

من العنوان نستنتج أن هذه قصة جديدة! من المفترض أن نحكي عن شيء، أو شخص ما إذن. طيب، تمام. فلنحكي عن فتاة، وليكن اسمها "عفراء".

لا نعرف الكثير عن "عفراء"، سوى أن لها طقوس يوم محددة، تمارسها اليوم تلو الآخر، دون كلل أو ملل. لا نعرف أَيْضًا تفاصيل مجمل هذه الطقوس، فيما عدا أنها تستيقظ في السابعة صباحا، ثم تغادر بيتها، لا نعرف إلى أين تذهب تحديدا، لكنها تعود في تمام السادسة مَسَاءً. يحدث هذا طيلة أيام كل أسبوع، عدا الجمع.

ولنأخذ جولة سريعة في غرفات البيت. أوف! البيت واسع خالٍ إلا من "عفراء". أثاثه بسيط؛ وإن كان كما يبدو غالي الثمن. "عفراء" تحيا وحيدة إذن.

إنها تجلس الآن على كرسي الأنتريه في الصالة، تمسك كتابًا ما، وتكتب! سوري. أقصد آسفة. نسيت أن أخبركم أن "عفراء" اعتادت في تمام التاسعة من مساء كل يوم، أن تكتب يومياتها، وبالتالي هي تمسك الآن أجندتها، وتكتب ما حدث طيلة ذلك اليوم.

لا تعرف، ولا نعرف نحن أيضا، لماذا تصر "عفراء" بإخلاص على كتابة يومياتها. فقط تذكر أنها حين كانت في الثامنة من عمرها، كانت تستمتع جدا بالتلصص على جدتها، وقراءة يومياتها، التي كانت تكتبها في دفتر قديم، وتحتفظ به فوق الدولاب. وفي يوم السبت الموافق لـــ ٢٠٠٤/٨/٣ قررت "عفراء" أن تكتب يومياتها، تماما كجدتها، وحتى يومنا الحاضر.

دعونا من سيل الذكريات هذا، ولنر ماذا تفعل "عفراء" في هذه اللحظة. نحن الآن في ليلة الأحد الموافق ٢٠١٠/١١/١٥، الساعة التاسعة والثلث مَسَاءً، و"عفراء" جالسة على كرسي الأنتريه، توشك أن تنتهي من كتابة يومية السبت الموافق ٢٠١٠/١١/١٤. انتهت فعلاً من كتابة اليومية، وأخذت تقلب بدافع الفراغ، أو ربما الملل، لتقرأ ما كتبت على مدار هذا العام الموشك على الانتهاء. قرأت في البداية ثلاث يوميات، اختارتهم بصورة عشوائية في أشهر متفرقة. غمرتها متعة تدفق الذكريات، فقررت أن تقرأ الأجندة من أولها، يوما تلو الآخر. بعد أن انتهت استكنيصت في جلستها هكذا، وشعرت بالرضا، والسعادة يغمرانها؛ فلم

تجد في يومياتها يومًا يشبه الآخر، فالأيام كلها بأحداث جديدة ومتباينة، كما أن رد فعلها، ونظرتها لكل موقف تختلف من يوم لآخر، بصورة إيجابية طردية، تتزايد مع مرور الأيام، حتى أنها يمكن أن تزعم أن شخصيتها تخطو للنضج يوما بعد يوم، مما راقها جدا؛ فقررت أن تتمادى، وتقرأ في إحدى أجندات الأعوام السابقة.

فتحت درج مكتبها، وسحبت أول أجندة وقعت تحت يدها. كانت تخص عام ٢٠٠٦ . اختارت عشوائيا أحد الأيام، وكان اليوم الموافق لـــ ٢/٩/٢٠٠٦ . قرأت اليومية، بتتابع، ودون توقف، حتى انتهت منها. "عفراء" الآن واجمة، مندهشة. أخذت الأجندة معها، وركضت غير مصدقة نحو أجندة العام الحالي الملقاة على الكرسي، قلبت في الورق كالملسوعة، حتى فتحت يومية اليوم الموافق لـــ ٢/٩/٢٠١٠. أحّا! (أنا من قلتها، فعفراء ديسنت، أقصد مهذبة، لا تقول مثل هذا الكلام) اليوميتان متطابقتان تماما!

اختارت يوما آخر من أجندة العام ٢٠٠٦ وقارنته بنظيره في أجندة العام الحالي، فوجدتهما متطابقين أيضا، كررت ذلك مع أيام أخرى، وظهرت لها الحقيقة جلية، فشيخة، أجندة عام ٢٠٠٦ هي نسخة مطابقة حتى هذا اليوم من أجندة العام الحالي.

أحضرت كل أجنداتها القديمة، وبأصابع مرتجفة، فتحت اليوم الأول من كل أجندة، وقرأت؛ فوجدت التطابق يحل كلعنة أبدية على الأجندات كلها. يا للهول! يا للرعب، والتهديد! (آسفة من جديد، عليَّ ألا أسخر من "عفراء "المسكينة). "عفراء" تبكي الآن، وتقلب في الصفحات، باحثة عن أي اختلاف، حتى أعياها التقليب، واعتراها (حلوة اعتراها دي) الزهق. نظرت إلى الساعة فوجدتها السادسة والنصف صباحا. أشرقت شمس نهار الأحد دون أن تشعر. أخذت الأجندات كلها، ورصتها في مكانها في درج المكتب. وأقسمت أن يكون يومها هذا جديداً

كبداية، قررت ألّا تنزل من بيتها اليوم، وأن تخلد للنوم عوضا عن ذلك.

استيقظت، ونظرت للساعة؛ فوجدتها السابعة والنصف صباحا. نامت فقط ساعة إلا ربع. تقلبت في السرير، وحاولت أن تكمل نومها. ولما غلبها الأرق، قامت من سريرها، رغم جسدها المنهك، وكأنها منومة مغناطيسيا، اتجهت إلى دولابها، وارتدت ملابسها لتغادر بيتها كما المعتاد. عادت للبيت في تمام السادسة. قررت أن تزور جارتها الجديدة، التي انتقلت للعيش في العمارة منذ ما يقل عن شهر، هكذا لن تجد مثل هذا الحدث في يوميات الأعوام السابقة. مضت ساعتان من الثرثرة مع جارتها، وحين قامت كي تودع جارتها وتنصرف، نظرت لها الجارة وقالت: "يااااه. خسيتي كتير عن السنة اللي فاتت. "فاكرة كنت عاملة إزاي؟؟".

استيقظت "عفراء" المسكينة (ألم أقل لكم إنها مسكينة) من حلمها فزعة، ووجهها غارق في العرق البارد. نعم. لقد كان هذا حلما. نظرت "عفراء" إلى الساعة فوجدتها الثانية ظهرا. تنفست بارتياح، وقامت من على سريرها. لم تعرف كيف تقضي اليوم، فظلت ترتجل هكذا بلا خطط، حتى انتهى اليوم المشئوم.

في التاسعة، أحضرت أجندتها، وقررت أن تبدأ كتابة اليومية بالحلم الغريب. بعد أن انتهت من كتابة اليومية، أحضرت أجندة العام السابق، وفتحت بثقة نفس تاريخ اليوم فيها، وجدت الصفحة بيضاء خاوية، إلا من أسطر رمادية. تصفحت الصفحات قبلها وبعدها، وكانت تزدحم بالكلمات.

أمسكت أجندة العام الحالي، لتفتح اليومية التي كتبها من دقائق؛ فوجدت الصفحة أيضا خالية. هل هذا يعني موتها؟

انتفضت "عفراء"، مستيقظة من نومها، تتصبب عرقا، نظرت للساعة على الحائط، فوجدتها التاسعة صباحا..

نساء في الأسود

تمّ إلغاء حفل زفافي لأسباب لا أذكرها، وسافر عريسي بلا رجعة. فقط أذكر أني كنت حزينة بشدة على فراقه، وأني كنت أكن نحوه مشاعرًا ما.

ارتديت فستان سواريه أسود، بلا أكمام، عاري الظهر، ووضعت روج لونه أحمر غامق. عقصت شعري كعكة في أعلى رأسي.

وقفت أنتظرهم ليلاً في حديقة الفيلا. كنت متوترة قليلاً، أمشي على الرصيف بين الحشائش. وصلت سيارة "جيب" فخمة، رصاصية اللون، وتوقفتْ بجوارالرصيف. وقفتُ أرقبها بتطلع. نزل سائق يرتدي بدلة أنيقة، وفتح الباب الخلفي للسيارة. خرج منها ثلاث سيدات في

أوائل الثلاثينيات، ترتدين فساتين سواريه سوداء. توجهن ناحيتي، وبدأت أتبين ملامحهن في الإضاءة الخافتة. اثنتان منهن تجمعني بهما صلة قرابة، والثالثة صديقة لهما. كانت أضعفهن قامة تمشي في وهن، وتتكئ على الأخرتين، فهممت لأساعدهن، وتوجهنا جميعا نحو الفيلا. وصلنا لحجرة نوم واسعة جدا، عتيقة، أثاثها من الطراز القوطي، يوجد بين قطع أثاثها مسافات شاسعة، وفي منتصفها جهاز كمبيوتر، الإضاءة كاكية قاتمة.

أجلسنا السيدة ضعيفة القامة على السرير الضخم. جلستُ قبالتها. كانت تبتسم لي في تودد، وتتجاذب معي أطراف الحديث. لاحظت لون الروج القاتم على شفاهها. أخبرتها بصورة صارمة، أنه لا داع لهذا التودد، فأنا بالفعل أحبها، وأتفهم موقفها جيدا. استأذنتها دقيقة، وتوجهت إلى جهاز الكمبيوتر. فتحتُ الماسنجر فوجدت العريس –الذي سبق وأن سافر- أونلاين للمرة الأولى منذ سفره. شعرت باضطراب شديد، وبادرني هو بالحديث سائلاً عن أحوالي، فرددت عليه ردا مقتضبا، حيث إني كنت في عجلة من أمري. أخبرني أنه سيعود في أقرب وقت لإتمام زفافنا، كان اهتمامي متوجها للسيدة ضعيفة القامة على السرير، وكنت أسترق النظر إليها كل ثانية، من خلف الشاشة. لم ينتظر هو ردي، واستطرد في خططه وكلامه. كنت أقرأ مايكتب سريعا، دون أن أرد، وعيناي لا تفارقان السيدة. أخبرني أنه وجد على الإنترنت صورًا فيها إيحاءات جنسية فاضحة، للطفلة ابنة صديقتي، ذات الثلاثة أعوام. شعرت

برغبة قوية في البصق عليه، أغلقت الماسنجر، واتجهت إلى السيدة. أمسكتُ يدها التي ترتجف، وتحدثنا كثيرا بصوت خافت. رنّ موبايلي برقم لا أعرفه. رددت وكان العريس يتساءل عن سبب اختفائي من على الماسنجر، ويواصل الحديث عن خطط إتمام زفافنا، كنت أسمع دون أن أتكلم، وأرقب في تلهف خلجات وجه السيدة المنهك. أغلقت الخط في وجهه، وجلستُ بجوارها نواصل حديثنا.

من على فوتيه في ركن بعيد للحجرة، أقبلت نحوي صديقة لي لم ألحظ وجودها من قبل، سمراء، طويلة، وترتدي فستان سواريه أسود. طلبتْ مني أن أراقصها، ورقصنا معا على مقطوعة كلاسيكية لموتسارت، كنت أغمض عيني، وأحلق في عوالم أخرى. ظللنا نرقص، حتى سقطت من الإعياء، حملتني إلى السرير؛ فنمت.

في الصباح الباكر، ارتديت تيشيرت أبيض خفيف على اللحم، وبنطلون جينز، واعتزمت السفر. كنت أسير على البلاج، متجهة إلى الطائرة الوحيدة التي ترسو في الميناء البحري بجوار السفن، حين قابلتني سيدة عجوز بصحة جيدة، لها شعر فضي، وترتدي فستانًا أزرق، زرقته مشرقة، قصير، يكشف عن ساقيها النحيلتين. قالت بضع كلمات بلغة ما، لا أعرفها، وأعطتني مهرا صغيرًا، بني اللون.

اصطحبت معي المهر الذي كان يتعلم المشي لتوه، ووصلنا إلى مرسى الطائرة. كان علينا أن نمشي في مياه البحر قليلاً، حتى نصل لسلم الطائرة. أشفقت على المهر، وخفت أن يتعثر، فيغرق قبل أن نصل للسلم. صرفت نظري عن السفر فجأة، واصطحبته، وعدنا للفيلا.

في المطبخ كنت في حيرة من أمري: مالذي يمكن أن أطعمه لهذا المهر؟!

أعددت طبق بولوبيف بالبيض، ووضعته أمامه في تردد. دهشت بقوة حين شرع في أكله. حين انتهى من طعامه، ضممته إليّ في حنان، وأخبرته أنه يتحتم علينا أن نشكر الله دائما عند الانتهاء من الطعام.

ثـــلاثـــة

جلس على الكرسي، وتطلع في المرآة. حينئذ وجد الرجل- الذي يرتدي قناع ذئب- يقف خلفه.

جلس الرجل الذئب على حافة السرير، وتحدث بهدوء. صوته له صدى، رغم مساحة الحجرة الضيقة.

أصغى له بكل جوارحه، وأمن على كلامه. خرج من حجرته مسرعا إلى باب الشقة، حاولت أمه إيقافه؛ فدفعها جانبا، وخرج.

ذاكرتي خالية تماما، من أي لحظة، حلوة أو مرة كانت، فيما عدا ذلك المشهد: صغيري معلق على خطاف، في محل الجزارة الواقع في أول الشارع، يتشنج، ويبكي في هيستيريا، وحشد من الناس يتابعون الموقف،

بعضهم يضحك، والبعض يحوقل في شفقة. الجزار يمسك في يده ساطورا، يلوح به، ويوجه كلاما بصوته الأجش لصغيري الذي تبلل بنطاله.

حاولت أن أمنعه من الخروج حافيا بالبيجامة. خرج من حجرته - التي مكث فيها لأكثر من أسبوع- واندفع نحو باب الشقة، دفعني، وخرج.

عادت "رجاء" من الدرس. أخبرتها عن تغيب أخيها. دخلت غرفتها، وصفقت الباب خلفها بعنف.

ثالث تمساح أراه في المنطقة. واجبي يحتم عليّ أن أنقذهم. توجهت إلى النادي، حيث كانت "سلمى" تنتظرني أمام كافتيريا "بهجة". كانت قد أحضرت جركن الجاز كما اتفقنا. حول سور النادي، أشعلنا النار، وانطلقنا مسرعين نحو وسط البلد. على كوبري قصر النيل تمشينا، وتوقفنا قليلا نتأمل النيل. أخبرتها أن النيل الذي نراه الآن وادِعا، قريبا سيتحول إلى نهر من نار، وستنهار الفنادق على ضفافه، وستتهاوى الأبراج.
ــ"النهاية قريبة جدا يا سلمى".

ارتجف كفها الذي كنت أحتضنه. طلبت مني ألا أتخلى عنها. ووعدتها أن أصطحبها مع الناجين.

الساعة الحادية عشرة ليلا، وهيثم لم يحضر بعد. ارتديت ملابسي، وأخبرت "ماما" أني سأخرج للبحث عنه. طلبت مني أن أنتظرها حتى

تبدل ملابسها، وتترل معي. تجاهلتها، وخرجت مسرعة. ركبت تاكسي إلى النادي. كان المكان مزدحما، تراصت سيارات إطفاء، وإسعاف حول السور، والدخان يملأ الأجواء. هرولت مسرعة، وسألت رجلا عجوزا في الجوار عمّا حدث. أخبرني أن أحدهم أشعل النار في النادي وهرب. فزعت، وسارعت بالتوجه إلى بوابة النادي. منعني الأمن من الدخول. صرخت، وبكيت. أخبرهم أن أخي بالداخل.

ـــ "مافييش حد جوه يا آنسة. متقلقيش، مافيش حد اتصاب". قال لي رجال الأمن.

سارعت بالبحث عنه في المقاهي حول النادي، و لم أجد له أثرا.

توجهت إلى "حسين" صديقه الوحيد، في محل الجيمز الخاص به. أخبرني أنه لم يره منذ ما يقرب من شهر.

عدت إلى البيت، رأفة بـــ"ماما"، وحتى لايقتلها القلق.

الساعة الآن الثامنة صباحا، و لم يظهر صغيري بعد. انتظرته في الصالة، ممددة على الكنبة. لكن عينيَّ لم تعرفا النوم.

في الساعة التاسعة والربع، استيقظت فزعة من غفوتي، على صوت طرق عنيف، على باب الشقة. سارعت بفتحه، ووجدت"هيثم" يتصبب

عرقا، وجهه أصفر اللون، ونظراته زائغة تماما. أسرع إلى حجرته، وأغلق الباب. حاولت أن أدخل عليه، لكنه رفض بشدة.

أغلقت باب الشقة بالمفتاح، وخبأته. وقررت أن أذهب لأنام قليلا، قبل أن تصحو "رجاء".

استيقظت في الضحى. وجدت "ماما" نائمة. توجهت إلى حجرة "هيثم"؛ فوجدت الباب موصدا. طرقت طرقا خفيفا؛ فتح لي، وأفزعني مظهره. سألته عن سر غيابه؛ فأخبرني أنه خرج مع "سلمى"، وأنه علينا أن نستعد، فالوقت قد أزف. خرجت من حجرته، وتحدثت مع "سلمى" على الموبايل؛ فأخبرتني أنها لم تغادر بيتها قط البارحة.

جلست في حجرتي، أنتظر الرجل الذئب، حسبما اتفقنا. في الساعة الثانية عشرة رأيته جالسا على الكرسي خلف مكتبي. تحدث، وسمعت.

خرجت من الحجرة مسرعاً إلى الصالة، شددت الستائر المعلقة، ومزقتها بكل عزمي، إلى خرق. استخدمتها في سد بالوعات المطبخ والحمام. أحكمت إغلاق كل الأبواب. واصطحبت "رجاء" و "ماما" اللتين تعالى صراخهما. وقفنا جميعا خلف باب الشقة. طلبت من "رجاء" أن تسرع في الاتصال بـــ"سلمى"، وتدعوها للحضور إلينا فورًا.

بدأ السقف في الانهيار، احتضنت "ماما" و"رجاء". وصرخت أنادي على "سلمى". الأرض تهتز من تحتنا، تشبثت بـــ"ماما" و"رجاء" وأنا أبكي وأرتجف. هبطت سفينة فضائية ضخمة في منتصف الصالة. رأيت تمساحا يخرج من باب الحمام ـــ الذي أحكمت غلقه ـــ وآخر من باب المطبخ.

صرخت، وخرج الرجل الذئب من السفينة، وبصحبته مخلوقات خضراء اللون، تحمل مسدسات ضوئية. أطلقوا الشعاع من مسدساتهم على "ماما" و"رجاء"؛ فوقعتا صريعتين. هاجمت الرجل الذئب، ووجهت له عددًا من اللكمات. قيدتني الكائنات الخضراء، وقال الرجل الذئب: "أنت الناجي الوحيد".

الأخـــتـان..

حين أغمض عيني، أراكِ في الظلام.. أنتِ دائماً معي، في كل أحلامي. (قصة حب).

(١)

المعادي هادئة ليلا، والشوارع شبه خالية ، متشابهة. هكذا تعودت أن أراها في مثل هذا التوقيت. كنت أرتدي ترايننج، وشبشب "أكتيف"، أحمل شريطي فيديو، وأتجه إلى نادي الفيديو، الواقع في الشارع التالي لشارعنا.

دخلت النادي؛ فوجدت الرجل العملاق – ذا الملامح الضخمة القبيحة، والظهر الأحدب، والشعر المعقوص الطويل، أسفل رأسه– يقف بمفرده خلف الكاونتر. بدا كما لو كان أحدب نوتردام، في ظل الإضاءة الحمراء الخافتة. ألقيت عليه التحية، وسلمته الشريطين. ابتسم، وسألني عن رأيي، فأخبرته أنهما أعجباني كثيرا. سألته في تردد، عن رفيقه ذي القناع

الحديدي، بدا على ملامحه التأثر، وأخبرني في أسى، أنه يعاني هذه الأيام من الاكتئاب، ويفضل العزلة.

الرجل العملاق- ذو الظهر الأحدب- يبدو طيبا. يعجبني كثيرا الخاتم الفضي، ذا الخرزة الخضراء الضخمة في إصبعه. دائما ما يبتسم لي، ويتجاذب معي أطراف الحديث.

رفيقه، هادئ، قليل الكلام، ومتجهم دائما. له قوام رياضي ممشوق، وبشرة جميلة برونزية اللون. يغطي نصف وجهه بقناع حديدي، والنصف الآخر مشوه. بالكاد أميز عينيه الصفراء اللون، و شفتيه الحادتين من بين عجين اللحم.

تأملت الجانب الأيسر الخالي للكاونتر، حيث يقف دائما الرجل ذو القناع الحديدي. أدركت مدى الفراغ الهائل، الذي خلفه غيابه — الذي لم أعتده- عن المحل.

لاحظ الرجل العملاق- ذو الظهر الأحدب- شرودي؛ فسألني إن كان لدي بعض الوقت ليتحدث معي قليلاً، يحتاج أن يفضفض. وافقت على الفور بابتسامة مشجعة، وجلست على الكرسي أمام الكاونتر.

أخذ يحكي لي في أسى- حتى أنه أوشك أن يبكي- عن رفيقه المكتئب. أخبرني أنه رجل ثري جدا، وكان في يوم ما شديد الوسامة، لا

يعرف الخوف، يحب السينما، وركوب الخيل، وكان يعمل دوبليرا في أدوار الأكشن. كل الأفلام في النادي، كان مشاركا فيها كدوبلير؛ إلى أن تعرض يوما لحادث، أثناء تصوير أحد الأفلام. انسكب مستحضر كميائي على وجهه، تسبب في تشوهه على نحو بشع، بالإضافة إلى أعراض جانبية أخرى. سألته في تعجب عن الأعراض الجانبية الأخرى. تردد قليلاً ثم أخبرني أنه لايأكل سوى اللحم... النيئ...... وأنه إذا لم يجده في الوقت المناسب، قد يضطر للاستعاضة عنه باللحم البشري... استدرك قوله سريعا، وأضاف أن ذلك لم يحدث على الإطلاق، هو دائما يحرص على شراء اللحم، وبكميات هائلة.

قلت له ضاحكة إنه بالتأكيد يمزح، ظل صامتا؛ فسألته إن كانت تلك هي قصة الفيلم الجديد الذي سيعيره لي، بقي على صمته.. سكت لعدة دقائق، ثم ابتسمت وأخبرته أني كنت أعرف بالفعل. نظر لي مندهشا؛ فاستدركت، وأخبرته أني كنت أعرف أن كل الأفلام في النادي هي جزء منه، أو هو جزء منها .ابتسم، واعتذر لي عن إضاعة وقتي، وأحضر لي شريط فيديو جديد.

في طريقي إلى المترل كنت قد أخذت القرار.

عدت إلى نادي الفيديو بعد يوم؛ لأعيد الشريط الذي استعرته. وجدت الرجل ذا القناع الحديدي، يقف خلف الكاونتر بمفرده. تقدمت

نحوه باسمة. مد يده ليأخذ الشريط؛ فاحتضنت كفه. نظرت مباشرة إلى عينه، وأخبرته عن مشاعري تجاهه، وأني عرفت عنه كل شيء، وأني أود فقط أن أكون دائما إلى جواره.

سحب كفه برفق، وأشاح بنظره عني، وتحدث بصوت خفيض. أخبرني أنه يقدر مشاعري ويحترمها، في الوقت نفسه لا يمكننا الارتباط، فأنا عادية، وهو ليس كذلك. قد يضطر في أحد الأيام إلى التهامي، إذا مانفد اللحم من ثلاجته. ضحكت وأخبرته أن ذلك سيسعدني كثيرا.

أمام إصراري، وافق أخيرا، بشرط أن أتحول مثله، إلى غير عادية. هكذا لن يقدر يوما على التهامي.

اصطحبني معه إلى آخر المحل، حيث كان هناك باب مغطى مع الجدران بورق الحائط، لم ألحظ يوما وجوده، فتح الباب، ودخلنا معا إلى حجرة ضيقة، ملحق بها حمام. أثاثها بسيط، فقط كنبة بنية اللون، أمامها طاولة صغيرة، وتليفزيون، ودولاب. الأشياء مبعثرة على أرضها. أخبرني أنه يقيم هنا، وعلى هذه الكنبة ينام، ويشاهد أفلامه الواحد تلو الآخر، بلا ملل. جلست على الكنبة، وتوجه هو إلى الحمام، وعاد بزجاجة سوداء صغيرة. جلس على الأرض بجوار قدميّ، وخلع الشبشب عن قدمي اليسرى، ونقّط قطرتين على إصبع قدمي الأصغر. راقبت الأصبع يغلي، ويفور، ثم يتآكل، حتى يختفي. لاحظ الدموع الصامتة على خديّ؛ فاعتذر

عن الألم الذي سببه لي. هززت رأسي نافية، وأخبرته أني فقط أبكي حزنا على فراق أصبعي. ربت على كتفي، وأخبرني أني حصلت الآن على الميزة التي يتمتع بها أمثاله، والتي لم يشأ أن يخبرني بها قبل التحول، كي يتأكد من أن تحولي سيكون خالصا لأجله.

تعددت لقائتنا في حجرته. كنّا نجلس معا على الكنبة البنية، نتحدث، نضحك، نشاهد الأفلام، نمارس الجنس، ونأكل اللحم النيئ. أخبرني يوما أنه من الأفضل أن نتزوج؛ فوافقته على الفور دون تردد.

في الفندق ارتديت فستان الزفاف. انتهى الكوافير من تصفيف شعري. وكان الماكيير يضع اللمسات الأخيرة لميكياجي، حين دخل عليّ أخي ليخبرني أنهم ينتظروني في الحجرة رقم ٣٧ . فور انتهائي، شعرت بجوع شديد، واتجهت مسرعة إلى الحجرة. وجدت أخويّ، وأختي ، وزوجي المرتقب في انتظاري.

كان أخواي قد اختارا التحول بكامل إرادتيهما، حين صارحتهما بحقيقتي، وحين أخبرتهما على الميزة التي نختص بها. لكن أختي لم تكن تعلم عن الأمر شيئا.

انتحيت بزوجي المرتقب جانبا، لأخبره عن جوعي الشديد. أخبرني أنه أيضا، وأخواي في مثل حالتي، وأنهم بحثوا عن اللحم النيئ، في الفندق، والمنطقة المجاورة دون فائدة.

لا إراديا، اتجه نظري إلى أختي؛ ففزعت من نفسي، ولاحظت أن الجميع ينظرون إليها؛ فارتجفت. أخبرتهم أني سأذهب سريعا، لأحضر لنا طعاما. ورجوت زوجي أن يحمي أختي؛ فطمأنني، ووعدني أنه حتى لو ساءت الأمور، فسيقوم بتحويلها. استأت من فكرة تحويلها أيضا، ووعدتهم ألا أتأخر.

كنت أركض في الشوارع، أرفع ذيل فستاني الطويل، وأركض بلا توقف. كانت ظهيرة مشمسة، وكنت قلقة من أن يفسد الجو الحار ميكياجي. وجدت سوبر ماركت في الشارع الرئيسي. دفعت بابه ودخلت.

وجدت الأنوار مطفأة، فيما عدا ضوء خافت مجهول المصدر. المكان خال من العاملين. ركضت في الأروقة، بين صفوف البضائع المرصوصة، السوبر ماركت واسع جدا. كنت أبحث عن أحد العاملين أو القسم الخاص ببيع اللحم، ووجدت الأخير، فوقفت ألتقط أنفاسي أمام الواجهة الزجاجية، وأنا في حيرة من أمري. ربت أحدهم على كتفي كي أفسح الطريق ، ففزعت. كان رجلا عملاقا، توجه للوقوف خلف الواجهة الزجاجية، لم أستطع تبين جزأه العلوي الغارق في الظلام. سألني إن كان بوسعه مساعدتي، فطلبت منه ١٠ كيلوات من اللحم المشفى. بدأ بتقطيع اللحم، وتشفيته، في ظل الضوء الخافت المحيط بأسفل الواجهة

الزجاجية. لاحظت خاتمًا ذا خرزة خضراء ضخمة في إصبعه. أخبرته ألا وقت، وأني سآخذ اللحم بشحمه.

دخلت الحجرة لاهثة ومعي أكياس اللحم. وضعتها على الطاولة. سألت عن أختي؛ فخرجت من البلكونة باسمة. طلبت منها أن تخلع عنها حذائها؛ فوجدت أصابع قدميها كاملة العدد، سليمة. تنهدت في ارتياح، واتجهت إلى أكياس اللحم، فمزقتها، وشرعت في الأكل، وكذلك زوجي، وأخواي. اقتربت أختي منّا، ومدَّت يدها، وأخذت قطعة، ووضعتها في فمها، وأخذت تلوكها وهي باسمة، والدماء تسيل على جانبي فمها.

(٢)

لم تستطع "نجوان" أن تسامحهم على فعلتهم بأختها، هربت معها بعد غروب الشمس، خارج القاهرة. خرجت بالسيارة عن الطريق الأسفلتي السريع، ركنتها في منتصف الأرض الصخرية الوعرة. نزلتا من السيارة، وأمسكتْ يدها، وركضتا معا باتجاه الكهف، أسفل الجبل المقابل لهما. كانت "نجوان" بين الحين والآخر تتوقف لرفع ذيل فستالها الطويل عن الأرض. توقفتا أمام مدخل الكهف، ونظرتْ أختها في الخريطة، وأخبرتها ألهما في الاتجاه الصحيح، طبقا للخريطة، وأن عليهما أن يواصلا البحث. دخلتا إلى الكهف، وأخبرتها أختها ألهما يجب أن يعثرا على باب موجود فوق أحد جدران الكهف. تفرقتا، وأخذت كل منهما تتحسس

جدران الكهف في حذر. عثرتْ أختها على الباب، ونادت عليها؛ فتردد صوتها بين جنبات الكهف.

فتحتْ أختها الباب برفق. يفضي الباب إلى سلم، ضيق، لايسمح عرضه إلا بمرور فرد واحد فقط، ويهبط إلى الأسفل. حاولتْ "نجوان" أن تعرف إلى أين ينتهي؛ فنظرت خلف الدرابزين، ووجدت أنه يهبط ممتدا في شكل حلزوني إلى ما لا نهاية.

تقدمتها أختها وشرعتْ في الهبوط، وتبعتها "نجوان". أعاق "نجوان" فستانها المنفوش- بفعل الجونلة أسفله- عن الحركة، بسبب ضيق السلم؛ فخلعت الجونلة، ولمت أطرافه فوق ساعدها الأيسر، ثم لحقت بأختها.

انتهى السلم، ليجدا ردهة خالية إلا من باب، يتوسط أحد جدرانها، وكارافان على بعد خطوات من الباب. طالعتْ أختها الخريطة في يدها، ثم اتجهتا نحو الباب، وقرعتْه أربع مرات متتالية. لاحظتْ "نجوان" لافتة صغيرة، على الجدار المجاور للباب مكتوب عليها: **"لا تقرع الباب إلا بعد أن تقف على عتبته لمدة سبع دقائق"**. أخبرت أختها سريعا عن اللافتة؛ فضربت أختها الأرض برجلها، وقالت إنهما خسرتا الميزة للأبد. خطرت لـــ"نجوان" فكرة سريعة، فاتفقت مع أختها على أن يفترقا، وأن تأخذ منها الخريطة، وتختبئ خلف الكارافان، فإذا ما امسكوا بها- الأخت- عليها ألا تخبرهم أنها برفقتها، وستعاود بعد رحيلهم الوقوف

على عتبة الباب من جديد، وتنتظر سبع دقائق، ثم تقرعه؛ لتكمل المشوار، وتواصل البحث بدونها. وافقتها أختها، فسارعتْ "نجوان" في الاختباء. فُتح الباب، وخرج منه ثلاث سيدات عجائز، لهن شعر أبيض، قصير، ويرتدين فساتين متطابقة خضراء اللون. سحبن أختها من ذراعيها. لاحظتْ "نجوان" أن إحداهن تنظر إلى أسفل الكارفان؛ فوجدتْ أنها نسيت أن ترفع ذيل فستانها الطويل. اتجهن نحوها، ووبخنها على محاولتها لغشهن، وسحبنها معهن.

جلستْ "نجوان" بجوار أختها، على الأرض، وضمت ركبتيها إلى صدرها، وأسندت ظهرها إلى الحائط . كانت الحجرة شديدة الاتساع خالية من الأثاث، فيما عدا عدة أعمدة، تمتد من الأرض إلى السقف. يجلس على أرضها عدد لا يحصى من الخاسرين. بعضهم يستند إلى الجدران، وآخرون يستندون إلى الأعمدة في جلستهم. كانت "نجوان" تقاوم النوم، وتفتح عينيها مستيقظة من حين لآخر. سألتها أختها هامسة عن مصيرهما، فقالت إنها لا تدري، وأن الفتاة – جوارها- أخبرتها أنهم ربما يجرون علينا التجارب.

بعد عدة دقائق، دخل عليهم رجل شديد الوسامة، له جسد رياضي، وبشرة جميلة برونزية اللون، يرتدي بالطو أبيض، فوق بنطال رمادي، ويمسك في يديه بلوك نوت، وقلم. أخرج نظارة نظر، ذات إطار

بنفسجي اللون، من جيب البالطو، وارتداها. سألهم جميعا إن كان أحد منهم شعر يوما بالرضى عن نفسه. رد الجميع بالنفي، في حين رفعت "نجوان" يدها بتردد، وقالت إنها أحيانا تشعر بالرضا عن نفسها، وفي أحيان أخرى لا. دوّن شيئا ما في البلوك نوت، واتجه بخطوات وئيدة ناحيتها، انحنى نحوها، ونظر إلى عينيها مباشرة من فوق إطار نظارته؛ فلاحظت لون عينيه الأصفر. سألها قائلاً: "جندب وحيد في حديقة الحزام الأخضر ؟؟؟". قالت "نجوان" بلا تردد: " نعم"، وابتسمت، ثم غابت في نوم عميق.

قبل الرحيل..

كنت نائمة بعمق، حين شعرت بيد تهز كتفي برفق. فتحت عيني، وكان الظلام دامسا. لم أستطع التعرف على ملامح من أيقظني. بين الغفوة واليقظة ميزت صوت "ماما"، كان نحيبها واضحا. أخبرتني أنَّ "بابا" عنده مرض خطير، وأننا سنسافر مصر قريبا، كي نجري له عملية، علينا أن نصحوا الآن ونصلي جميعا، وندعوا الله أن ينجيه.

رفعت بجهد البطانيات عن جسدي الضئيل. شعرت بالبرد يجمد أطرافي ويلسع وجهي، في حين كانت "ماما" توقظ "وسام" و"وليد".

زجاج النافذة يصطك بفعل الرياح في الخارج، صوت همس "ماما" يأتي من بعيد، لا أميز كلماتها. السماء تمطر برَدا، اسمع صوت ارتطامه بزجاج النافذة، وهيكل التكييف من الخارج.

تتجهين إلى الحمام. تمرّين بالردهة، وتطالعين الساعة على الحائط، في ضوء اللمبة السهاري الواهن، تحديها الرابعة والنصف فجرًا.

ترددين قليلا قبل أن تفتحي حنفية المياه الباردة، كي تتوضئي، فالبرد قارص، وأنت تخافين من صوت السخان وقرقعاته، حين تَفتح حنفية المياه الساخنة.

تتوجهين إلى غرفة المكتب، كي تصلي في هدوء، تغلقين الباب خلفك دون أن تشعلي النور. تشرعين في الصلاة. كنتِ تطيلين السجود، تدعين الله من بين دموعك: "يارب أنا بحب بابا قوي..يارب أموت قبله".. يتناهى إلى سمعك صوت حبات البرَد ترتطم بزجاج النافذة والتكييف، وصفير الريح.

لم تدر كَم من الوقت استغرقت صلاتك. خرجت فوجدتِ الهدوء يعم البيت من جديد، والأنوار مطفأة فيما عدا اللمبة السهاري في الردهة.

اتجهتُ إلى غرفتنا؛ فوجدتْ "وليد" و"وسام" نائمين. اتجهت إلى غرفه بابا وماما؛ فوجدت ماما مستلقية على السرير، ومكان بابا خال. تفقدتُ الحمام بحثا عن بابا، فلم أجده.

لم أجرؤ على إشعال النور. تسللتُ بخفة على أطراف أصابعي، عبر الردهة الواسعة جدا، حتى وصلت إلى غرفة الصالون. وجدت بابها مواربا، حاولت استراق النظر عبر الفتحة المستطيلة للباب. لم أر شيئا في البداية، وحين اعتادت عيني الظلام، تبينت "بابا" جالسا على أحد الكراسي، يهتز كتفاه في صمت، ويتمخط من حين لآخر في منديل بيده. تسمرت في مكاني للحظات، وأرهفت السمع، فتبينت نحيبه. ترددت في أن أدخل عليه الغرفة، أو أن آوي إلى سريري.

توجهتِ إلى سريرك بخطوات متثاقلة، تتساقط دموعك على ظاهر قدميك. اختبأتِ أسفل البطانيات وواصلتِ البكاء بصوت خفيض. بعد برهة شعرتِ بخطواته قريبة منك، كتمتِ أنفاسك، وأغمضتِ عينيك. شعرتِ به يتمم على غطائك، ومن ثم غطاء "وسام" و"وليد". فتحتِ عينيك وراقبته يخرج من غرفتك، ويتجه عبر الردهة إلى غرفته.

انتظرتُ قليلاً، ثم رفعتُ الغطاء عني، وتوجهتُ بخفة، وسرعة إلى غرفة الصالون. أشعلتُ النور، وأغلقتُ الباب، وجلستُ حيث كان يجلس بابا. سمعتُ زقزقة العصافير في الخارج. طالعتُ حقائبنا المدرسية، مرصوصة على الكرسي المقابل. أاحضرتُ حقيبتيّ "وسام" و"وليد". جلست على الأرض، وفتحت الحقيبتين، فتشت في كل الأغراض، بريتُ

لهما الأقلام الرصاص، وجمعت حاجياتهما المبعثرة في قاع الشنطة ووضعتها في المقلمة. فتشتُ في الكراسات أيضا؛ فوجدتُ أن "وليد" لم يحل واجب العلوم، و"وسام" لم تكمل واجب الحساب. أخذتُ أحاكي خطيهما بدقة، وأحل لهما الواجب، وأكمل ما ينقصهما. ثم رتبت الحقيبتين جيدا. الكتب أولا، تليها الكراريس، ثم المقلمة، والساندوتشات.

أغلقتُ الحقائب، وأعدتها إلى مكانها. سمعتُ صوت جرس المنبه في حجرة بابا وماما، فأغلقت النور، واتجهت مسرعة إلى سريري.

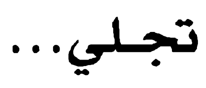
تظاهرتِ بالنوم حين كان أبوكِ يوقظ "وسام" و"وليد"، ثم أيقظكِ. وشرعتم جميعا في ممارسة طقوس صباحكم المعتادة. أنتم الصغار ترتدون زيكم المدرسي، وأبوكم يعد لكم الفطور المعتاد (شاي بلبن، وبقسماط)

شعرتِ بوهن ودوار ينتابانك، حين كنت ترتدين المريلة، توجهتِ إلى أبيكِ بخطوات مترنحة كي يرفع لك السوستة، ويعقد الحزام. واجتمعتم حول الطبلية لتناول الفطور.

تقيأتِ مباشرة فور الانتهاء من فطورك، وركضتِ مسرعة نحو الحمام، لحق بك أبوك، وساعدك على تنظيف المريلة. تأمل وجهك بصمت، وأخبركِ بأنكِ لستِ على مايرام، وأمركِ بإبدال ملابسك ، والتوجه فورا إلى الفراش.

ارتميتِ بوهن على الكنبة في الردهة. ونادى أبوكِ "وسام"و"وليد"، ليخبرهما أنه سينطلق في خلال دقيقتين. ركضا نحو باب الشقة في انتظاره، وخرج؛ فتبعاه. سارعتِ بإحضار حقيبتك واللحاق بهم.

كاد "وليد" أن يغلق باب السيارة، حين أدركتيه وسارعتِ بالجلوس إلى جواره. طالعك أبوك في مرآة السيارة، أخبرته بعينين دامعتين أنك تودين الذهاب إلى المدرسة. انطلق بالسيارة، وتوقف أمام البقال بجوار المدرسة. نزل وأحضر لك كيك، وعصائر. وأعطاكِ خمسة ريالات كمصروف ،على غير العادة، وقال لكِ: "خلي بالك من نفسك".


تجـلي...

اتجهت لغرفتي عازمة النوم في حوالي الساعة الرابعة فجرا. أقاوم بإرادة آثمة الرغبة في السهر، حتى يؤذن الفجر، وأصليه حاضرا.

تقلبت في السرير عدة مرات، وحين سكنت أخيرا، وغلبني النعاس، لاحظت بطرف عيني الضوء الأحمر للمبة السهاري يرتجف.

توالت الأحلام عليَّ في نومي. في الحلم الأخير، رأيتنا جميعا نحتفل في صالة الشقة. ثم رحل الجميع، وانطفأت الأنوار.

كنت ـــ في الرواق المقابل للصالة ـــ وحيدة، حين تبينت في الظلام ذلك الظل القصير المبهم في الردهة. يسير بسرعة ونعومة، متجها نحو باب الشقة. أسرعت خلفه عازمة أن أتبين ماهيته. حين لحقت به،

وكان بيني وبينه عدة خطوات، وجدته يكبر ويغمر باب الشقة بألكامل. انتابني خوف شديد، ارتجف له جسدي، ولم يتحمله عقلي بما يكفي لأكمل الحلم. استيقظت، وفتحت عيني؛ فوجدت الشيطان ماثلاً أمامي عند طرف السرير. له رأس ذئب أسود، ويرتدي عباءة سوداء واسعة. يشبه الصورة المستهلكة لملاك الموت في الأفلام الأجنبي.

تأملته بهدوء وسكينة، ثم شرعت أتمتم ببعض الآيات القرآنية. فكرت في أن أصرخ كي استنجد بأحدهم، ثم تراجعت وفكرت في أنه بإمكاني التعامل مع الموقف وحدي.

لا إراديا، كان صوتي يعلو أحيانا ويخفت أحيانا. في اللحظات التي يعلو فيها صوتي، كان الشيطان يتلاشى تدريجيا، وفي اللحظات التي يخفت فيها صوتي ، كانت صورته تتجسد من جديد واضحة جلية.

بذلت جهدا مضنيا كي أحافظ على نبرة صوتي عالية، حتى تمكنت من هزيمته، وذاب تماما في ظلام الحجرة.

تنفست الصعداء، ثم شرعت أتأمل مكانه الخالي، فوجدت فستانا طويلاً منقرشا، تكسوه زهور صغيرة، معلقا على شماعة فوق واجهة أويمة الشوفنيرة المقابلة لسريري. في أعلى كتف الفستان، كانت هناك بطانية

صغيرة مكومة فوق الشوفنيرة. تبدو من بعيد كرأس. ابتسمت ونهضت من السرير.

مارست طقوس يومي المعتادة، ثم قررت أن آخذ حماما. دخلت إلى غرفتي لأخرج ثيابي. حينها لاحظت بدهشة أن المعلق على الشماعة - فوق واجهة الشوفنيرة- بالطو طويل كحلي ، كالح اللون، وليس فستانا طويلا منقرشا.

مـرآة...

(١)

انتهيت من حلّ الواجب في الساعة السادسة والنصف مساءً. أخبرت " بابا" بذلك. سألني إن كنت انتهيت من تحضير دروس الغد، قلت: نعم، فقال إن أحمد انتهى أيضا من مذاكرته.

أمرني وأحمد أن نرتدي ملابسنا. سنذهب إلى حديقة "العود"، حتى يأتي الميعاد الذي ينتهي فيه دوام عمل "ماما" المسائي، فنذهب لنحضرها من المستوصف بالسيارة. تقافزت فرحا وسارعت لارتداء ثيابي.

اشترى "بابا" لنا الشيكولاته من البقال أسفل العمارة. وصلنا الحديقة في حوالي السابعة والنصف. نزلت و"أحمد" من السيارة أمام باب الحديقة، حتى يركنها "بابا" في الجوار. لفت نظري اللافتة على باب

الحديقة: "تغلق الحديقة في الثامنة". فكرت أن نصف ساعة لا بأس بها. "ماما" ينتهي عملها في الثامنة، ويقع المستوصف على بعد شارعين من الحديقة.

جاء "بابا" ودخلنا معا. كانت الحديقة خالية إلا منّا. ركضت و"أحمد" إلى الزحليقة الحلزونية. وجلس "بابا" على الكرسي الخشبي المقابل لمنطقة اللعب. مللت من التزحلق وتوجهت إلى الأرجوحة التي أحبها. الأرجوحة عبارة عن إطار شاحنة كبير، معلق بأربع سلاسل متينة في خشبة ممتدة أفقيا، بين خشبتين منتصبتين عموديا. كانت عالية على قامتي. ركبتها بصعوبة. جلست على حافة الإطار، وحاولت أن أبدّل برجليّ في الهواء حتى تتأرجح، كانت ثقيلة؛ فتأرجحت ببطء. ناديت على "بابا" وقلت: "بابا، مرجحني". أخذ يدفع الإطار بكل قوته، فتطير الأرجوحة بي عاليا، وأضحك، ويتعالى ضحكي مع تعالي الأرجوحة. جاءنا صراخ أحمد من بعيد. كان يبكي وينادي على "بابا". تركني "بابا"، وسارع بالبحث عنه. اختفى "بابا" من مدّ نظري. كنت أبدّل برجليّ حتى أحافظ على الأرجوحة تتأرجح عاليا. كف "أحمد" عن الصراخ فجأة، فكرت أن "بابا" قد وجده. كنت مازلت أتأرجح حين انطفأ نور الحديقة فجأة. فكرت في أنه ميعاد إغلاق الحديقة. خارت قواي، وتوقفت عن التبديل. نزلت عن الأرجوحة، وأخذت أنادي بعلو صوتي على "بابا" و "أحمد". لم يجبني أحد.

(٢)

استيقظتْ من نومها بقلب مقبوض. كانت قد حلمتْ أن الشيطان خدعها، وتمثل لها في صورة آدمية، لم تدرك معها أنه الشيطان. فكرتْ في أن توقظ أباها. توجهتْ إلى غرفته، فوجدته يغط في نوم هادئ. تراجعتْ عن فكرة إيقاظه، وقررتْ أن تتوجه إلى الصالة، وتتفرج على التليفزيون حتى يستيقظ وحده. خرجت إلى الصالة؛ فوجدت أباها يرص أطباق الفطور على السفرة. تسمرت في مكانها لثوان معدودة، ثم عادت راكضة إلى غرفته، فوجدته لا يزال نائما. ركضت إلى الصالة من جديد، فوجدته يبتسم قائلا: " يالا علشان تفطري". أقبل عليها مادّا يده، فركضتْ إلى آخر الشقة، تجاه المطبخ. كان يمشي وراءها على مهل قائلا: "مالك يا

بت، بتجري ليه؟". وصلتْ إلى المطبخ ودفعتْ بابه الموارب بيديها؛ فوجدته في الداخل مبتسما، واقفا يعد الشاي بلبن.

دايمًا نلاقي الخوف

وقفتُ و"حمّو" على مركبنا الخشبي الصغير، نحرر شبكة الصيد، ويمسك طرفيها كل منّا، قبل أن نرميها في المالح.

لم تشرق الشمس بعد، رغم الضوء الذي نستطيع من خلاله الإبصار بوضوح.

ألقينا الشبكة. حين حان الوقت لإخراجها، تعاوننا معا، وكانت ثقيلة جدا، على غير المعتاد.

أخرجناها بصعوبة، وألقينا بها على أرض المركب. سارع "حمّو" بتغطية الشبكة بما حوت من سمك، بمشمع، بلاستيكي كبير، كحلي اللون.

لاحظت توتره؛ فسألته: "في إيه"؟ أخبرني أنه قد يكون ثقل الشــبكة راجع إلى وجود سمكة قرش بين الأسماك، وأنها ربما قد تؤذينا.

أحضر مسدسا، فوجئت بأنه كان يحتفظ به مع عدة الصيد على المركب، وأحضر صندوق الفِلّ الذي نضع فيه السمك، مع قطع الثلج، حتى نبيعه في الحلقة.

قال إنه عليّ أن أمسك المسدس، وأطلق الأعيرة على سمكة القرش وقتما يجدها؛ حين يبدأ هو في حذر بإخراج السمك، من تحت المشمع، سمكة تلو أخرى، ويضعهم في صندوق الفِلّ.

جلس في وضع حذر، يضمن له الأمان. صرخت قبل أن يمد يده إلى المشمع، وقلت: "انتظر. قد يكون المسدس خالٍ من الأعيرة". طمأنني، وأخبرني أنه يحتوي على عيارين. قلت إني سأجربه، وأطلقت بسرعة عيارا في الهواء. تضايق "حمّو" من اندفاعي، وزعّق قائلاً إنه لم يبق سوى عيار واحد، وأني ربما أخطئ تصويبه؛ فيحدث ما لا يحمد عقباه.

طمأنته، وقلت إني سأبذل مافي وسعي. عاود الجلوس في وضعه الحذر من جديد، وقبل أن يمد يده، صرخت أستوقفه، وقلت إنه من الأفضل أن نقوم بهذه العملية في العشة، وسط العيال، حيث إنه في حالة حدوث أي طارئ ، قد لا أحسن التصرف، فيغيثنا أحد من العيال.

حملنا المشمع بمحتواه معا، وتوجهنا إلى العشة. حكيت للعيال سريعا ما حدث. وحين كان يدعوني "حمّو" لنخرج السمك من الشبكة، كنت أتظاهر بالاشتغال بشيء ما، وحين لم أجد ما أتحجج به، بعد أن بالغ "حمّو" في تأففه، أخرجت العيال من العشة. اندهش "حمّو"، فقلت له: "إحنا في داهية يا"حمّو"، همّا لأ". وافقني، وجلس من جديد على الأرض قرب الشبكة، في وضع حذر. على شماله صندوق الفِلّ، وأخذ يزيح المشمع عن جزء صغير من الشبكة. كنت أراقب يده، وأمسح العرق عن جبيني بين لحظة وأخرى، وأصوّب فوهة المسدس نحو السمكة التي تتجه إليها يده. أخذ يلتقط السمك من الشبكة، اندهشت كثيرا من حجم السمك الضخم، يخرج السمكة تلو الأخرى، ويرميهم في الصندوق.

كان المشمع يتراح شيئا فشيئا، حتى انتهى "حمّو" تماما من التقاط السمك. نظر لي مبتسما، وقال إنه لا يوجد سمكة قرش، الشبكة كان وزنها ثقيلا؛ لأن السمك حجمه كبير بصورة غريبة. أخذت أتأمل السمك الضخم في الصندوق، وأنا أرمي قطع الثلج عليه. قلت مبتسمة: "ده خير يا حمّو. ده رزقنا".

المسخ ...

حَمَلتْ الكيسين برضا، واتجهتْ
عائدة إلى الشقة التي تطل على الميدان.

طرقتُ باب بيتنا. فتحت لي أختي الصغرى، همست في أذني سريعا، وأخبرتني أن الساحرة في الداخل بصحبة وسيطتها الروحية، تجلسان مع ماما في الصالون، ثم سارعتْ بالدخول إلى غرفتها، دون أن تترك لي أي مجال للاستفسار. تسللتِ على أطراف أصابعي عبر الرسبشن، وكتمت أنفاسي، اختبأتُ خلف كراسي السفرة المواجهة للصالون. كنت أنظر من خلال المسافات بين الكراسي إليهن. وجدت ماما تتكلم مع امرأة يبدو أنها أربعينية، وفي الوسط بينهما طفلة، في حوالي التاسعة من عمرها؛ لها شعر بني غامق، كثيف، طويل، مسترسل على كتفيها حتى خصرها، بشرتها بيضاء شاحبة، وترتدي فستانا أبيض بسيطا للغاية. صعدت بنظري إلى وجهها؛ فاصطدمت بعينيها السوداوين الواسعتين،

تنظر لي بثبات، نظرة خاوية. مسحت العرق البارد من على وجهي، وأشحت بنظري بعيدا عنها.

همست المرأة الأربعينية بشيء ما في أذن الطفلة، وابتسمت ماما، وقامت من على كرسيها متجهة نحوي. نادتني وقالت تعالي، سحبتني من يدي؛ فذهبت معها دون مقاومة، اتجهنا جميعا إلى غرفتي تتقدمنا الطفلة، التي فتحت باب الغرفة. فوجئت بالغرفة خالية تماما إلا من سجادة لونها تركواز غامق في منتصف الغرفة، وأربعة كراس خشبية، مرصوصة عند طرف الغرفة المحاذي للباب. كرسيان متوازيان في صف، يليهما كرسيان في صف آخر، كما في قاعة عرض. أجلستني ماما على كرسي في الصف الأول، وجلست على الكرسي المجاور لي. بينما جلست الطفلة خلفي مباشرة. أغلقت المرأة الأربعينية الباب، وجلست على الكرسي المجاور للطفلة. انطفأ النور النيون فجأة، وحل الظلام لثوان، ثم انطلقت إضاءة خافتة مجهولة المصدر، لم أستطع أن أحدد إذا كانت زرقاء، أو بنفسجية، الإضاءة كانت مصاحبة لموسيقي هارد ميتاليك، ترتعش على إيقاعها. فكرت في أن أغمض عيني، ثم تراجعت، كنت فقط حريصة على ألا أنظر خلفي. فُتح باب الغرفة، ودخل رجل، أو ربما امرأة! ترتدي بالطو أسود حريمي فخم، يعلو ياقته فرو كثيف. وقفتْ في منتصف الغرفة فوق السجادة، وأخذت تتمايل مع الإيقاع. فكرتُ في أنه رجل؛ فالشعر

قصير، والملامح حادة جدا، ثم تراجعت عن الفكرة، حين لاحظت المكياج الفج لوجهها، والخاتم الفيروزي الجميل الذي ترتديه. كانت ترقص الإستربتيز. أخذت تفك أزرار البالطو زراً زراً، ثم خلعته عنها بحركة رشيقة. ترتدي أسفله بيكيني أوف وايت اللون، مطرز بصورة غاية في الجمال. فكت السونتيان، وخلعته، فأدركت أنه رجل، حيث لا نهود، مع كتفين عريضين. أمسك طرفي الكيلوت ليخلعه، فأغمضت عيني خجلاً، ثم فتحتهما بعدها ببطء في فضول، فوجدت أن لها عضو أنثى .

صَفقت مع الجميع في نهاية العرض، واستأذنت منهن للانصراف، حيث إن عندي ميعاد بعد نصف ساعة. فَتحت دولابي، واخترت فستانًا أسود سواريه كات، عاري الصدر. ربطت شعري كذيل حصان، وأكملت زينتي بتعجل. أخذت معي فستانًا مطابقا تماماً للذي أرتديه، ووضعته في شنطة يدي.

وصلت المستشفى في ميعادي بالضبط، واتجهت بخطوات واثقة إلى الغرفة ٣٠٧. طرقت الباب طرقة خفيفة، ودخلت. جلست على الكرسي المجاور لفراش المريضة. تأملتها، وكانت نائمة، لها بشرة برونزية انطفأ لونها، شعرها ذهبي ، خفيف، متناثر فوق المخدة، ووجهها منهك وهزيل، لها هالات سوداء عميقة أسفل عينيها. أخذت أنتحب، وقمت فجأة.

توجهت إلى غرفة الدكتور المختص، تبادلت معه بضع كلمات بصورة محتدة، أخذ ينظر إلى السقف بعينين متسعتين عن آخرهما، ويضحك بشكل هيستيري. انْصَرَفْت غاضبة، وعدت إلى الغرفة ٣٠٧. أيقظت المريضة، وأخرجت الفستان من شنطة يدي. ساعدتها على ارتدائه، وبدا مهلهلاً عليها. جعلتها تستند علي، وخرجنا مَعًا من المستشفى.

في الأسفل كانت تنتظرني سيارة جيب، رصاصية اللون فخمة. ما إن خرجنا من البوابة، حتى نزل من السيارة أربع نساء، يرتدين فساتين سواريه سوداء، مطابقة لما نرتدي. سارعن إلى استقبالنا، واندهشن من خروج المريضة غير المتوقع. ساعدنها في ركوب السيارة، التي انطلقت إلى شقة إحداهن للاحتفال بخروج المريضة.

أذكر هذه الشقة جيدا، حيث أقمت فيها عدة شهور، لخلاف مع أمي.

جلسنا في الفيراندا الواسعة، وقررنا إقامة حفل باربيكيو. كنت أساعدهن، حين تذكرت وأنا منهمكة، أننا نحتاج إلى سلطة.

توجهت إلى الثلاجة، فتحتها، و لم أجد أي خيار أو قوطة.

استأذنتهن، وتوجهت إلى الخضري، الواقع قرب الميدان، الذي تطل عليه الفيراندا. عبرت الميدان، الذي يتوسط خمسة شوارع، واتخذت طريقي إلى محل الخضري الذي أعرفه جيدا.

فوجئت على نفس الرصيف، وقبل محل الخضري بمحلين، بحفل افتتاح لمحل خضار جديد. استقربت ودخلته. المحل واسع جدا، مجهز بطريقة فخمة، ومزدحم جدا. مقسم إلى ثلاثة أقسام .قسم للخضار الصحيح، يبدو فيه الخضار طازج، لامع، ضخم، مرصوص بشكل جمالي منمق. تجولت فيه بحثا عن خيار أو قوطة. لفتَ نظري فاصوليا يانعة، شديدة الخضرة. فكرت في أن أتصل بأمي لأسالها إذا كانت تحتاج فاصوليا، ثم تراجعت، حيث إني لا أعلم متى سأعود للبيت تحديدا.

في المكان المخصص للقوطة، لم أجد إلا بضع حبات عطنة. و لم أجد أي خيار أيضا في المكان المخصص له.

توجهت إلى القسم الثاني، والذي كان مخصصا للخضار المجهز، والمعدّ مسبقا للأكل مباشرة. تجولت فيه، ووجدت في الركن المخصص للقوطة، قوطة مقطعة لحلقات. حلقات لأحجام متنوعة، حلقات كاملة لأحجام صغيرة ومتوسطة، وأنصاف حلقات لأحجام لم أتخيل يوما وجودها. أمسكت نصف حلقة، غير مصدقة، حيث إن قياس نصف قطر الحلقة حوالي خمسة عشر سنتيميتر. وضعتها في مكانها، والتقطت حلقة

صغيرة، وتذوقتها، فوجدتها عديمة الطعم. فقررت أني لن أشتري خضار مجهز.

توجهت إلى القسم الثالث، وكان عبارة عن قاعة تصطف فيها الترابيزات، والكراسي؛ مخصصة للراغبين في تناول الخضار داخل المحل. كانت القاعة خالية، تجولت بين الترابيزات التي تناثرت على أسطحها بقايا الخضار، وأطباق خالية. بحثت بين البقايا، فوجدت ثلاث خيارات، متوسطات الحجم، في حالة جيدة. أخذتهم وخرجت من القاعة؛ فوجدت المحل خال من المشترين، تسوده الفوضى، ويتأهب العاملون لإغلاقه. جلست على الأرض مرهقة، وأسندت ظهري إلى صف من الأجولة الممتلئة، والمغلقة. أتى إلي رجل، أخبرني أنه صاحب المحل، يرتدي بنطلون استريتش لونه فوشيا، وبلوزة حريرية لونها أوف وايت. عيناه مُكحلتان، وشفتاه شديدتي الحمرة. تتدلى من رقبته سلسلة، فيها حجر فيروزي بديع. سألني إن كان يقدر أن يساعدني بشيء؛ أخبرته باختصار عن جولتي في المحل. اعتذر لي بلطف، وأخبرني أن القوطة نفدت، وأنه سيحضر لي خيارًا، على الخيارات التي معي، من جوال يحتفظ به لعرضه غدا.

بقيت جالسة على وضعي في انتظاره. أخذت ألعب بكفي بين الأجولة؛ فصادفت حبات مستديرة صغيرة؛ أخرجتها، ونظرت إليها؛

فوجدت أنها قوطة صغيرة جدا، زاهية اللون، طازجة. تذوقت إحداها؛ فوجدتها لذيذة الطعم.

عاد إليَّ صاحب المحل، ومعه الخيار؛ فأخبرته عن حبات القوطة التي وجدتها. أخبرني أنه جوال معيوب، مع المرتجعات، وأنه من الممكن أن يزن لي منه كيلو إذا رغبت. وافقت على الفور.

غربة...

الفتاة التي ترى الأشياء متناهية الصغر في الأسف؛ شعرت بصداع بطول نصف وجهها الأيمن، حين كانت تستقبل مع أمها نزلاء جدد عند بوابة الفندق.

حاولتْ التماسك أثناء ما كانت وأمها تجردانهم من أسلحتهم.

اشتد الزحام؛ فلاحظت البعض يفلت من التفتيش، ويتجه بسلاحه خلسة إلى غرف الفندق. همست لأمها، ثم اتجهت مسرعة لتتبعهم.

تفتح كل غرفة عنوة، تنظر للرجال فيها، البعض يخلع ملابسه، البعض يستلقي ممددا على الأسرة أو الكنب. تجول ببصرها سريعا في الأرجاء، وحين لا تجد سلاحا، تنظر صامتة لعيونهم المتسائلة، تحاول النطق بشيء ما.. لا تقدر؛ فتصفق الباب وترحل.

كررتْ ذلك مع عدد لا تذكره من الغرف.

اشتد الصداع، وأضحت تبحث فقط عن غرفة خالية. كادت تفقد وعيها؛ حين وجدها أخيرا. غرفة على المحارة، خالية إلا من مرآة تتوسط أحد جدرانها. أمام المرآة بدأت تترع لحم وجهها، والذي كان عبارة عن قناع مرقع من لحم يغطيه جلد متهرئ. تأملت عظام وجهها في المرآة، وهالها شيء ما. خلعت رأسها عن كتفها فزعة؛ لتتفحص ذلك العمود الإسمنتي الدقيق، الذي يشق وجهها بالطول محاذيا عينها اليمنى. على جانب خدها، في المساحة بين العمود وأذنها اليمنى، كانت هناك أذن صغيرة تنمو. تحسست الأذن -غير مصدقة- ولاحظت أن المكان حولها متقيح، ويحتاج لتطهير فوري.

خرجت فزعة من الغرفة، وركضت في الطرقات لتبحث عن أمها. أثناء ركضها -ورأسها بين يديها- لاحظت أن قامتها ليست بالطول الذي كانت تظنه، حين كانت رأسها أعلى كتفيها.

وجدت أمها عند البوابة التي لاتزال مزدحمة، تروح وتجيء وسط الترلاء. بدت لها طويلة جدا بدرجة جعلتها لا تسمعها حين نادتها من أسفل، قائلة: "ماما إلحقيني". تشبثت بذيل جلابيتها مكررة استغاثتها.

لكن الأم كانت مشغولة جدا، حتى أنها لم ترها.

الطـريق ...

سناء تقف الآن في الشارع الرئيسي. تمسك بإحكام حقيبة مستندات ممتلئة. نرى تاكسي يمرق أمامها تكاد أن تلوح له، ثم تتراجع. سناء تحدث نفسها بصوت نسمعه: آه. عادي؛ سناء دائما لا يهمها، وتتحدث مع نفسها بصوت عال، حتى لو أضحك ذلك من حولها- المهم أن سناء تقول إنها محتارة، هل تأخذ تاكسي أم تركب الميني باص؟ التاكسي حتما سيكلفها أكثر، لكنها ستقعد، وعليه ستستطيع أن تنجز الباقي من عملها، قبل أن تصل. أما الميني باص فهو أقل تكلفة بكثير، ولكنها يا عالم إن كانت ستقعد، أم لا. تأخذ القرار أخيرا، وتقول إنها ستركب الذي يأتي أولا.

هو الميني باص إذن. تدخل فتجده مزدحما عن آخره، حتى أنها تمكنت بالكاد من أن تجد مكانا لتقف فيه. تستند على الكرسي أسفلها بيد واحدة، بما يحفظ توازنها، تنظر للجالس عليه، فتجده عجوزًا، يغط في نوم عميق. تخنقها الرطوبة، ورائحة العرق. يحمر وجهها، تحاول رفع يدها الأخرى، للوصول إلى حقيبتها، تستطيع بصعوبة، وسط كل هذه الأجساد الملتحمة بها، تخرج نظارتها الشمسية السوداء، تلبسها، وتنزل دموعها. تفقد توزانها تماما، مع فرملة قوية مفاجئة من السائق، تشعر بعدة أيادي تشدها لتحول بينها وبين الوقوع. تصطدم بشدة في الراكب العجوز على الكرسي أسفلها، فيستيقظ متأففا، ينظر لها بقرف، ثم ينظر إلى الشباك ويهب فزعا، يستوقف السواق، يلوم على الركاب عدم إيقاظه، ويغادر الميني باص مسرعا. تسارع سناء بالجلوس على الكرسي الفارغ. تطلب من الراكب جوار الشباك، أن يبدل مكانه معها؛ فيوافق على مضض. تفتح الشباك عن آخره، وتفتح حقيبة المستندات، لتخرج منها مجلدا، تنهمك في الكتابة فيه بتركيز وسرعة. لا نعرف ما طبيعة عمل سناء، أو ما الذي تكتبه. فقط نراها كطفل مجتهد، يحرص على إكمال واجبه، الذي ربما غفا فبل أن ينهيه، وذلك قبل أن يصل لمدرسته، وتفتش الميس كراسته. ترفع سناء رأسها بين الحين والآخر، لتطالع الشباك، حتى لا تفوتها المحطة، أو لتلم شعرها الذي يبعثره الهواء المندفع بهمجية، ثم تنهمك في الكتابة من جديد. اعتادت دائما قبل أن تأتي محطتها بحوالي مائة متر،

أن تغادر كرسيها، وتتجه لمقدمة العربة، وتنبه على السواق وتتابعه، حيث إنها تنزل أخر السور، وليس في المحطة الرسمية، التي تأتي بعد نهاية السور بحوالي ثلاثمائة متر.

رفعت رأسها مرة جديدة، ولاحظت أنها على وشك الوصول. تقرر أن تدخر الوقت، وتواصل الجلوس، ثم تنبه على السائق أكثر من مرة بصوت جهوري: "آخر السور معاك والنبي يا أسطى، اوعى تنسى". تعاود الانهماك في الكتابة، وحين ترفع رأسها مرة أخرى، تجد أنهم يصعدون كوبري لا تعرفه، تحاول استيعاب موقعها الآن فتعجز. تنهض من على كرسيها فزعة. لقد تجاوز السائق آخر السور، ومن بعده المحطة الرسمية، بل إنه صعد الكوبري الذي يلي المحطة الرسمية. تصرخ سناء في السائق، وتطالبه بأن يركن على جنب فورا، يواصل السير حيث إنه على مطلع كوبري، ومن المستحيل أن يتوقف هنا. فتشتمه بعصبية. يتوقف بعد أن يتبادل معها السباب. تنزل وهي تدعو عليه. تتجه نازلة من على الكوبري، وتتفاجأ بأن مطلع الكوبري، والشارع المؤدي إليه مزدحمين للغاية بالسيارات، على غير المعتاد في مثل هذا الوقت. تواصل السير، والزحمة ممتدة حتى مدّ بصرها. تصل أخيرا. مقر عملها الآن على الرصيف المقابل تحاول عبور الشارع، لكنها لا تقدر، الشارع مزدحم جدا، حتى أنها لا تجد أي مسافة بين أية سيارتين تستطيع العبور من

خلالها. السيارات مرصوصة أمامها في الشارع، متلاصقة تماما فيما بينها. تفترش الرصيف، وتنهمك في مواصلة الكتابة إلى أن ينفرج الشارع قليلاً. تفيق على صوت كلاكس متواصل من سيارة، كاديلاك بيضاء ذات طراز قديم، تعرفها جيدا، إنها سيارة صاحب العمل. يدعوها للركوب معه، حتى يوصلها إلى مقر العمل، بوجهه السمح، ولطفه الأبوي. قالت لنفسها إنها ستكمل في ثوان الجزء الذي كانت تكتبه ثم تركب معه، لوحت له بيدها حتى تستوقفه، واستأذنته لكي ينتظرها ثانية واحدة فقط، وانكفأت تكتب بسرعة. حين رفعت رأسها بعد أن انتهت، لم تجد السيارة الكاديلاك، ووجدت الشارع خاليا، والجو أكثر برودة، مع ميل الشمس للغروب. لملمت أغراضها واحتضنت الحقيبة. عبرت الشارع إلى مقر عملها، فتحت الباب لتجد صاحب العمل ينتظرها بوجه متجهم. تعطيه الحقيبة بفخر، وتخبره أنها أتمت عملها. يلقي بالحقيبة جانبا، ويسألها بصوت عال إن كان سبب تأخيرها اليومي، هو جلوسها الغامض كل يوم، لأكثر من خمس ساعات، على رصيف الشارع المقابل لمقر العمل؟!

المحتويات

الكتب خان للنشر والتوزيع®
٣/١ شارع اللاسلكي – المعادي الجديدة – ١١٧٤٢ – القاهرة.
تليفون:٢٠٢٢٥١٩٤٨٠٧+ – ٢٠٢٢٥١٧٠٦٧٨+
بريد اليكتروني:info@kotobkhan.com
موقع اليكتروني:www.kotobkhan.com



لا نستطيع، فى العادة، أن نصغى إلى صوت الجنون أو همزات المجنون. لا نستطيع أن نتابع أفكاره المنفصلة أو المتصلة. الجنون هو، كما نراه، غير أو لاوجود خالص. غير أن شيئًا ما لايزال يومض أو يومىء بغير ذلك. مادام كل واحد منا يجاهد فى يومه آلاف المرات لينزع عقله من غوايات الجنون. أو ليفلت من سحر نداءه من وراء «حجرات» العقل الثابتة الأركان. وحده الأدب هو الذى يستطيع أن يمسك بالصوت المرتعش، المذعور والهش للعقل. أعنى صوت الجنون أو وجه العقل الآخر. وحده الأدب هو الذى يمكنه أن يتابع خِواره، توجعه وأنينه المتقطع اللاهث. كأنها مسحورة أو ممسوسة أو مأخوذة عن نفسها كبطلات ألف ليلة وليلة، تغيب عنا «أمان» بطلة هذا العمل فى وِصلات جنون تصل الحلم بالحقيقة، تقرأ نوازع النفس الخفية، وساوسها ورغبتها الأصيلة فى انتهاك عقلانيتها المزيفة. عبر سرد يستضيف الوهم، الحلم والجنون ويستأنس بهم نصغى إلى أصواتنا الأخرى.

الناشر

ولدت إيمان عبد الرحيم في القاهرة في ١٩٨٣ وتخرجت من كلية التجارة جامعة حلوان في ٢٠٠٤. تعمل إيمان في إدارة الأعمال وبدأت الكتابة -مثل شباب جيلها- علي مدونات الإنترنت. إيمان عبد الرحيم، بروايتها الأولي "الحجرات" تجعل لنفسها مكانا متميزا بين الروائيات الجدد في مصر.




ISBN 978-977-6306-19-6
9 789776 306196